

النشرة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"... خاصة بالاعضاء

العدد الرابع والعشرون السنة الثامنة والعشرون ديسمبر (النصف الثاني) ١٩٩٢

رأينا

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكرى الانطلاقة ومعركة الوجود الفاصلة

■ بثبات وشموخ وعنفوان، تعبر حركتنا الرائدة، حركة التحرير الوطني الفلسطيني - فتح، عامها التاسع والعشرين، مؤكدة طلائعيتها ومسؤوليتها عن صياغة المستقبل الوطني الفلسطيني، بكل تطلعاته للحرية، وللدولة المستقلة على تراب فلسطين، وعاصمتها القدس الشريف.

وكما عبرت الانتفاضة الجبارة عامها السادس قبل ايام، متشحة بألق التجدد والتصعيد المسلح، الذي ضاعف من جذوتها، وفرض على الكيان الصهيوني معركة مواجهة مصيرية مع الثورة الفلسطينية، ستمتد خلال العام ١٩٩٣، لتلون بنتائجها طبيعة المسار النضالي للصراع الفلسطيني - الاسرائيلي، والصراع العربي - الصهيوني.

انها معركة حاسمة تقودها حركتنا، وتخوضها الثورة الفلسطينية بكل فصائلها وقواها. ويتجسد الدور البطولي لشعبنا الفلسطيني في كل تفاصيلها. فهي معركة وجوده، ومعركة حدوده، ومعركة خلوده على ارض فلسطين الحرة، جيلا بعد جيل، وحتى الابد.

وفي الوقت الذي تتركز فيه انظار العالم على الجريمة التي ارتكبها الارهابي رابين، مبتكر سياسة القبضة الحديدية وتكسير العظام، تتركز انظار العالم، ايضا، على الصمود البطولي للمبعدين من ابناء شعبنا المجاهد، وللارادة الصلبة التي يتحلون بها، وهم يواجهون بقلوبهم العامرة بالايمان بالله وبالوطن، كل قسوة الظروف والظلم، فيزدادون اصرارا على التمسك بالبديل الوحيد الذي اختاروه، وهو العودة الى بيوتهم، العودة الى فلسطين.

ان الذين يعتقدون ان رابين، ارتكب جريمة الابعاد الجماعي لاربعمائة وثلاث عشرة مواطنا فلسطينيا انما جاء كرد فعل لمقتل اسير اسرائيلي من قبل حركة حماس، انما يبسطون الامر بشكل سطحي. والذين يعتقدون ان رابين، كان يطمح في ان تؤدي هذه العملية الجريمة الى ترحيب من الموافقين على المفاوضات، ومن منظمة التحرير الفلسطينية، هم اكثر وهما وسطحية. لقد اختار رابين الوقت المناسب لفرض قبضته الحديدية، ليس ضد الفدائيين حملة السلاح وفرسان الكفاح المسلح، وليس ضد ابطال الخناجر والسكاكين، وليس ضد اطفال الحجارة والمولوتوف فحسب. وانما ضد الشعب، كل الشعب الفلسطيني، داخل الارض المحتلة وخارجها. والى جانب الشعب الفلسطيني، فان الضربة موجهة، وعن قصد، وفي هذا الوقت بالذات، الى مجلس الامن والى الامم المتحدة والى الشرعية الدولية.

ان الضربة موجهة بشكل سافر الى عملية التسوية التي يعتقد رابين جازما انها يجب ان تنتهي، اذا لم تتسم بالخضوع المطلق لارادته، ولقبول مشروعه للحكم الذاتي الاداري. وكل هذا يبدأ بالاذعان والتسليم بقرار الابعاد، وبالربط بين القرارين ٧٩٩ و ٢٤٢، والقائهما في سلة واحدة.

لقد كشفت الجريمة عدة وجوه بشعة، ولكن أبشعها

تتمة ص ٤٦

في رحاب قضيتنا التنظيمية

■ في المدى الدوري لصدور نشرتنا "فتح" طيلة ثلاث سنوات قدمت القضية التنظيمية مفاهيمنا التنظيمية التي تتعلق بالنصوص أو الممارسات الحركية أو مبادىء وأعراف علاقاتنا الداخلية وقواعد عملنا. وقد اشتمل ذلك على مجموعات متكاملة من المواضيع وهي بمجموعها تشكل كلا متكاملا، وقد تضمنت تلك المجموعات مواضيع:

أولا: الاضافات والتعديلات على النظام الاساسي بعد المؤتمر العام الخامس.

ثانيا: مهام العمل الاساسية لدى لجان الاقاليم.

ثالثا: المعالجات التنظيمية للقضايا والمستجدات وضرورات التوجيه التنظيمي.

رابعا: ضد النزعات والظواهر الخاطئة.

خامسا: النهوض الذاتي ضرورة ومستلزمات.

سادسا: لجنة الرقابة الحركية وحماية العضوية.

وقد تضمن هذا الموضوع الاخير القواعد الاساسية لمبدأ اللجان سواء الرقابة الحركية، أو الرقابة المالية، وما بقي من فروق في تشكيل كلا منهما واختصاصاته وصلاحياته. فانما هي الفروق الناتجة عن الطبيعة الاختصاصية والمحاسبية للجنة الرقابة المالية. وهي فروق ليس من المحتم تناولها بالتفاصيل لقضايانا التنظيمية.

وبذلك تكون القضية التنظيمية قد غطت كل المسائل التي يجب تغطيتها فيما يتعلق بالنصوص أو المعالجات أو التوجهات التنظيمية الضرورية. وهي في معظمها مسائل لا تنتهي في وقتها، ولاتتوقف الحاجة اليها بمرور الزمن، اذ أن النظام الاساسي مازال وسيبقى نظامنا الى أن تعدله المؤتمرات، وكذلك ظواهر ومناهج عملنا التنظيمي.

والمهم في الامر هو عدم ترك هذه القضايا وضرورة العودة اليها وضرورة الاحتكام والاسترشاد بواسطتها، والاكثر من ذلك ضرورة دراستها من قبل كافة الاطر والاعضاء لأن استلهام مضامينها والتقيد بتوجهاتها وتنفيذ واجباتها هي أمور غاية في الاهمية لعملنا التنظيمي.

لقد أثمرت وتكونت كافة مفاهيم قضيتنا التنظيمية نتيجة الممارسة وفي ضوء حاجات العمل وحاجات البناء التنظيمي وحاجات الاداء والتطور. وهي بذلك تشكل المرجعية الحركية الاساسية التي يحتكم اليها والتي يتم تفسير النصوص على اساسها، والتي يمكن أن يسترشد بها.

والميزة في شروحات النصوص خاصة لدى قضيتنا التنظيمية انها استلهمت خلفيات ولادة هذه النصوص وحكمتها من خلال مناقشات الاطر المختصة باقرار النصوص. فلكل نص حكمته وأسبابه وشروطه الخاصة لدى اقراره أو صياغته، وهي الشروح التي توضح مبرراته ومراميه. ومن البديهي ان تلك الشروح لا تتجسد في الانظمة الا عبر نصوص مقتضبة تتصف بالجامع والمانع، أي الجامع للمعاني المرادة والمانع للمعاني غير المرادة، كما تتصف بالصياغة المقتضبة التي تقتضيها طبيعة الانظمة.

والمعنى، أن الشروح بتفاصيلها تبقى ملكا للاطر ووثائقها، وتبقى بعد كل ذلك الدليل والهادي على مرامي النصوص ومقاصدها حيث يمكن ان يظهر غموض أو نقص أو ضعف صياغي، واداة قياس حيث يمكن ان تظهر بعض المستجدات او المسائل التي لم تتم معالجتها.

لقد استلهمت قضيتنا التنظيمية كل تلك التفاصيل والمناقشات والحيثيات التي ساقتها الآراء المختلفة والتي أدت الى تثبيت كلمة أو عبارة أو نص، وكذلك التي أدت الى حذف كلمة أو عبارة أو نص.

وخرجت هذه القضية التنظيمية لتقدم النصوص لمراميها ومعانيها وحكمتها ليسهل على كل عضو استلهامها أو الاحتكام اليها أو الاستمداد من روحيتها قبسا ينتقل الى الاعضاء الجدد.

ان نصوصنا التنظيمية ومنهجنا التنظيمي يعكس بقدر كبير روحية حركتنا وافكارها أو بالاحرى خلفيات

أفكارها، فلا يوجد نظام يمكن أن يستقل عما وراءه من روحية أو خلفية فكرية لان تلك الروحية والخلفية يظهرها المنهج مهما استقلت عنها النصوص ويظهرها أين تركز النصوص وأين تؤخذ مناحي الاعتبارات وأين تتحدد الاولويات. عدا عن ان النصوص بحد ذاتها تظهر دائما مراميها أو الجزء الاهم من تلك المرامي. كذلك فان نصوصنا التنظيمية عكست امانينا وتفاؤلنا التاريخي وثقتنا بالمستقبل، وارتباطنا بالاواصر المتينة لروح شعبنا وآلامه وتطلعاته، ومدى احترامنا للعضوية ومبدأ مساواة الاعضاء.

وعبر كل ذلك فان قضيتنا التنظيمية أرادت ان تبرز الحبل السري الذي يربط بين النصوص وابعادها وحكمتها، لان روح النص لا يمكن أن تكون بلا قيمة.

مما لا شك فيه ان القاعدة في أي نظام هي التطبيق الحازم للنصوص، وخاصة تلك القواعد التي تأخذ طابعا آمرا بمعنى انه لا يجوز مخالفتها أو التواني عن تطبيقها في أي ظرف من الظروف، والتي يظهر النظام بطريقة صياغته لها حرصه على ان يتم التعامل معها بهذا المنحى.

ولكن بالمقابل وحيال قواعد النظام عموما فان للنص روحا وجوهرا يجب ان تخدمه حرفيه النص في كل الظروف، وهذه الروح أو الجوهر ينبغي استلهامها بحيث يؤدي التطبيق الحرفي للنصوص الى تحقيق هذه الروح وهذا الجوهر.

ويجب ان ندرك ان مبادئنا واهدافنا وقيمنا والمصالح الاساسية لشعبنا ومصلحة حركتنا وصحة وسلامة مسيرتها ومبادىء العدالة والانصاف ومنحى الحرية والديمقراطية والارتقاء، كلها تشكل عناصر اساسية من روح وجوهر نظامنا.

وعلى اساس هذه الروح لا بد من تطبيق النصوص. ولهذا السبب لا يجوز التخلف عن هذا التطبيق.

وبعد كل ذلك فان حياتنا التنظيمية لن تتوقف عن عملية افراز القضايا التنظيمية فحاجات العمل في تجدد دائم، وحركية حركتنا تفرض هذا التجدد، وتنوع أداتنا واتساع مداه يقتضي المستجدات ايضا.

اننا نسير عبر مدى متسع من حيث الزمان أو الجغرافيا أو ابعاد وتعقيدات القضية والمواجهات. وبالتالي تشعبات المسيرة ومواجهاتها، وهو ما يفرز باستمرار الامور التي تستحق المعالجة.

كذلك لا يوجد كمال لا في نصوصنا ولا في شروحنا من حيث الوضوح على الاقل. وكل هذا يشكل الحاجات للاستمرار في معالجتنا التنظيمية في القضية التنظيمية، ولكنه يقتضي طابعا جديدا وفقا للتفاصيل أو المستجدات أو الاستفسارات.

ان عطاء الحركة لن يتوقف وان بئر فعاليتها لن ينضب ولكننا في كل مرحلة نواجه حاجات ومستلزمات من نوع جديد.

المهم الان هو استيعاب ما بين ايدينا من نصوص وشروح على كل المستويات، وتطبيق واجباتها، والاحتكام اليها، ومواكبة التطور واستحقاقاته.

اننا نواجه استحقاقات التطور من حيث تبدل الظروف، ولا ينكر في الاساس تبدل الحكام عبر تبدل الازمان. وللتبدل في كل الاحوال أصوله وطرقه السليمة، وقد حاولت القضية التنظيمية ضمن مظلة النظام ان تستفيد من الهوامش والمساحات أو بعضها. وقد سمحت مرونة بعض النصوص بهذه المعالجات، ولكن اضافة الى ما يمكن ان لا تكون قد سمحت النصوص بمعالجته، فهنالك مقتضيات التطور على صعيد روح الحركة وبعض مفاهيمها الفكرية ومستجدات ظروفها السياسية وواقعها الموضوعي أو الذاتي. وهذه المسائل يجب ان تستجيب الروح التنظيمية لتلبية استحقاقاتها ضمن الاصول.

ان الحركة التي لا تتطور تتخلف عن ركب الحياة. وربما تفقد مبررات بقاءها، لذلك فنحن حركة ليس امامنا الا ان نواجه قضايا التطور والنهوض على كل الاصعدة وفي المقدمة على الصعيد التنظيمي بحد ذاته لانه اداة استيعاب التطور واداة تحقيقه.

ان المنهج التنظيمي هو منهج النظام ومنهج الاصول ومنهج التطبيق الحازم للنصوص، وان الحركة التي تستسهل التحلل من قيود الانظمة و النصوص سوف تواجه حتما فقدان الضمانات والارضية الصلبة في اللحظات الصعبة، وفي لحظات الحاجة اليها.

لذلك ان للنظام اعباءه وعلينا ان نتقبل هذه الاعباء في مقابل كل ما يعنيه وكل ما يمكن ان يؤدي اليه التطبيق السليم للنظام.

هذا هو نظامنا، وهذه هي مفاهيمنا التنظيمية التي يمكن البناء عليها، وبذلك تكون الحركة قد أرست قواعد مفاهيمها التنظيمية ارساءا كافيا فيه من الصلابة والمرونة ما يؤدي الى خط متزن ومتوازن للبناء عليه.

علينا ان نبني على ما بين ايدينا وان لا نقفل باب الاجتهاد، لكي تستمر الحركة ويستمر التفاعل ويستمر الابداع والابتكار ويستمر ايجاد الحلول للمسائل ومعالجة المستجدات ■

موضوعات من الانتفاضة (٣٠)

بين القيادة والوظيفة

■ يعتقد البعض بأن القيادة لا تزيد عن كونها مجرد منصب أو وظيفة، تمارس من خلالها السلطة أو ابراز الذات، وبالتالي فان صنع القائد بالنسبة لهم مرهون بقرار. وهذا خطأ كبير، فالقيادة والقائد أو الشخصية القيادية، مشروطة في وجودها ومدى أهليتها، بجملة من العوامل والظروف، التي يستحيل بدونها اطلاق هذه التسمية.

واذا كنا هنا لسنا بصدد بحث هذا الموضوع من كافة جوانبه وبصورة موسعة، الا أننا نرغب في تسليط الأضواء على بعض جوانب هذا الموضوع الحيوي ومن زاوية الممارسة العملية في الأرض المحتلة.

فالقيادة أي قيادة، لا يمكن الا أن تلد وتنمو من خلال الانخراط الجاد والحقيقي في العمل، والتعامل معه بالشكل الذي يؤدي الى كشف الامكانات والطاقات والملكات وصقل المواهب وفتح المجال للتجربة والتعلم منها، كما يساعد على تفجير الطاقات والتعود على مواجهة الصعاب، والأحداث الجسام واكتشاف الحلول الملائمة لها.

وتحتاج القيادة في تشكلها الى شرطين أساسيين، الأول ذاتي ويتعلق بالشخص نفسه من حيث مدى أهليته واستعداده للتطور، والمواجهة، والتضحية، والثاني موضوعي وهو مرتبط أصلا بالظروف المتاحة، وبما اننا نتحدث الآن حول الموضوع القيادي بالنسبة الى الثورة، فان القائد لا يمكن أن ينمو ويتقدم الا من خلال اثبات القدرة والكفاءة، والتضحية بالذات سواء في مواجهة العدو، أو في معالجة قضايا الجماهير.

ان من أهم المزايا الواجب توفرها في القائد، أو الكادر القيادي، تلك التي تجعل منه قدوة ونموذجا بالنسبة لاخوانه والمحيطين به، وهذا غير ممكن دون توفر جملة من الصفات والاستعدادات الشخصية، مثل حسن التصرف والمسلك والتواضع والصدق والقدرة على التأثير على الآخرين، وخلق القناعات لديهم، والتفاني في العمل، وتقدم الصفوف في كل الظروف والأجواء، وتغليب المصلحة العامة على المصلحة الشخصية، والترفع عن الصغائر والحسابات المصلحية الضيقة،

والتفاعل مع المناضلين واكتشاف مزاياهم ونقاط تفوقهم وتهيئة الأجواء، لهم ووضعهم في المكان الذي يلائم قدراتهم وطاقاتهم، والهدوء، والتروي في أخذ القرار، وقوة العزيمة وهدوء الاعصاب أثناء مواجهة الصعاب، والقدرة على تحمل أخطاء الآخرين ونقاط ضعفهم، والانطلاق باستمرار مما لديهم من ايجابيات والعمل في نفس الوقت على تخليصهم من نقاط الضعف، والتميز باقصى درجات الجدية والمثابرة والاحتمال، والابتعاد قدر الامكان عن الانفعال والمزاج، ومحاربة كل ماهو سلبي في شخصيته والعمل على تنمية كل ماهو ايجابي...

بالاضافة الى قضايا وتفاصيل أخرى كثيرة. وقيمة هذه المسائل لا تأتي فقط من كونها وسيلة لخلق حالة من الثقة الواسعة التي تعزز القناعة، وتدفع بالمناضلين الى الامام، من خلال الالتفاف حول قائدهم، واستعدادهم لخوض المعارك من ورائه، وانما في مدى انعكاسها وتاثيرها على الموقع القيادي برمته، من خلال الاقتداء بالقائد، والتعلم منه. وهذا لا يعني طبعا أن القائد معصوم عن الخطأ، أو منزه عن السلبيات، ولكنه يعني الاستمرار في تعزيز الايجابيات وتقليل السلبيات.

أما الميزة الهامة الثانية فهي التحلي بالجرأة القيادية، التي تشكل شرطا جذريا، لاقتحام الصعاب، ومواجهة الأحداث الجسام والاعداء، والتجرؤ أيضا على طرح الرأي وقول الحقيقة خصوصا على المستويات القيادية الأعلى. وتظهر الحاجة الماسة لهذه الميزة، وللقادة الذين يتميزون بها، خلال المنعطفات الهامة والخطيرة، فهي وحدها الكفيلة بجعل القائد يقدم على أخذ قرارات جريئة ومناسبة، لا يمكن حماية الثورة أو التقدم بها الا من خلالها. فلم تكن انطلاقة فتح مثلا، أو قرار خوض معركة الكرامة الا نتاج جرأة قيادية عالية، وارادة فذة واستعداد للتضحية حتى الاستشهاد.

فقرار خوض معركة الكرامة مثلا، لم يكن قرارا منطقيا من الناحية النظرية، عندما تقوم مجموعة من المناضلين قليلي التجربة والامكانات، بخوض معركة مواجهة مباشرة، مع جيش لم يكن قد مضى على هزيمته للعرب في حرب ١٩٦٧ وعلى رأسهم قائد الأمة جمال عبد الناصر سوى بضعة أشهر. ولكنه كان قرارا حكيما وصائبا عبر عن ارادة صلبة، وعزيمة لا تلين، وجرأة قيادية ترى الحاضر بحساب ميزان المستقبل، وتتلمس عمليا قدرات الأمة وقدرتها على النضال والجهاد. انها جراة لا ترقى اليها جراة فحصلت المعجزة.

والميزة الثالثة، فتلك المتعلقة بالابداع والعقلية الخلاقة، وهذه الميزة لا تقل أهمية عن سابقاتها فالقائد المبدع يملك القدرة على مواجهة المتغيرات والاستفادة من المعلومات، والامكانات المتاحة، واستيعاب الجديد، كما ينجو بجيشه من مفاجآت الاعداء، والاحداث الطارئة كما أنه يملك القدرة على ابتكار أساليب العمل المتجددة ومفاجأة العدو بعيدا عن الروتين والركود القاتل الذي يقتل الهمم ويجعل الثورة باستمرار ضمن دائرة تفكير العدو وخطته الأمر الذي يؤدي الى الكوارث والهزائم.

أما الاستقلالية في الرأي والموقف، فانها تظل الخطوة الأولى بل القاعدة نحو الموقف المبدع والرأي الخلاق، بعيدا عن الركون لانتظار الأوامر، أو الاعتماد على الغير، وبالطبع فان هذا الأمر لا يتناقض مع التكامل ومع الالتزام، كما أنه لا يعني التمترس أو التحجر أيضا، بل انه يعني رؤية الواقع والثقة والاعتماد على الذات، وتقدير الموقف الصحيح مع الاستعداد لتغيير الموقف كلما ثبت عدم مصداقيته أو جدواه.

واذا كانت المعركة الفلسطينية الرئيسية تدور الآن ومنذ خمس سنوات في الأرض المحتلة، وبسبب حالة الشتات والبعد الجغرافي التي يعاني منها الوضع الفلسطيني، فاننا نبدو في أمس الحاجة الآن للمبادرة والابداع، والرأي المبدع في الداخل، بالاضافة الى الاعتماد على الذات أيضا، لان من أخطر الأخطار على العمل الثوري هو العقلية التابعة، فهذه لن تصل بالعمل الا الى الفشل، كما أنها تجلب الكوارث. وان على القائد أن يدرك واجباته ودوره بصورة جيدة وخلاقة. سواء تجاه الموقع الذي يقوده، أو تجاه الثورة برمتها، وادراك دوره أثناء انتقاله من موقع لآخر، أو أثناء التغير في موازين القوى، أو المراحل، ومدى أهميته في هذا الدور في التأثير على المسار العام، فان تأثير ودور الأرض المحتلة، ودور قيادتها وكوادرها لم يعد هو نفسه "أثناء الانتفاضة"، كما كان قبل حرب ١٩٨٢ مثلا. ولهذا فان على القيادة أن تدرك المتغيرات والموازين بصورة

جيدة، وأن تضع خططها وتحدد دورها وواجباتها في ضوء ذلك ومن خلاله.

وان أخطر ما يثقب الشخصية القيادية هو الجمود والروتين، وعدم ادراك المتغيرات، وعلينا أن نميز هنا جيدا بين الجمود والالتزام، فبينما الجمود يعني تأخر مواكبة العضو لنمو الجسم مثلا، فان الالتزام يحافظ على التناسب في النمو ومواكبة حركة النمو الحاصلة. كما أن الافلات من الجمود لا يعني التنازل عن المبادىء والاهداف الاستراتيجية أيضا بدعوى أن ذلك تطورا في التفكير، ومراعاة لموازين القوى والمتغيرات.

وعلينا أن ندرك بصورة جيدة أن المسؤوليات القيادية، تختلف من موقع لآخر، ومن وقت لآخر ومن مستوى قيادي الى مستوى قيادي آخر حسب أهمية الموقع ودوره في كل مرة، ولكن جوهر المسؤولية في كل منها واحد، وهو السير نحو تحقيق أهداف الثورة بكل ثبات وجرأة. وعلى القائد اذن أن يدرك دوره وواجباته في كل مرحلة وكل ظرف.

وعلينا أن نلاحظ هنا بأن هناك أنماطا قيادية مختلفة في الواقع على النحو التالي:

١- الخط القيادي الذي ينمو ويتشكل من خلال الأحداث ومواجهة الصعاب، كما شرحناه في الأسطر الماضية. وهذا هو النمط المطلوب.

٢- النمط القيادي الذي تخلقه القرارات أو العوامل الشخصية والمزاجية أو المصلحية الشخصية والمنفعة الذاتية أو التقرب من القيادة.. الخ. وهذا نمط غير جدير بالمهمة.

٣- النمط القيادي الذي يجنح نحو التعامل مع الجميع وخصوصا مع الأقوياء، حيث يعمل القائد على أن يخلق أو يقرب من حوله مجموعة من الاشخاص الاقوياء، والمؤثرين، ويمنحهم الثقة والفرصة المناسبة، فيجعل من الموقع القيادي خلية نحل ويعتبر أن قوته من قوتهم، ونجاحه من نجاحهم، وهذا نموذج عظيم.

٤- النمط القيادي الذي يبحث عن الضعفاء فيقربهم، ويعادي الأقوياء والمؤثرين، وهذا نمط رديء يهدر الطاقات، ويلغي الابداعات، ويسير بالأمور نحو الهلاك.

وبهذه المناسبة لابد لنا من أن نلاحظ انعكاس أثر

الموقع القيادي على القائد، سواء من حيث اكتشاف امكاناته وتفجير طاقاته، ودفعه نحو الامام، أو من حيث عدم الأهلية كاكتشاف الثغرات والعيوب كحب السلطة، والتفرد التي لم تكن ظاهرة في الشخص قبل وصوله الى الموقع القيادي.

ولأن دور القيادي مهم، فان أحد أهم معايير نجاح أو فشل التنظيم، تقاس بمدى تفريخه للقيادات والكوادر القيادية، وهذا لا يمكن أن يتحقق الا في ظل قيادة كفوءة وقدوة، تشعر المناضلين كافة بالانتماء للاطار القيادي. كما تعتز بدورها في المشاركة فيه. بعيدا عن الانغلاق وأجواء التآمر، وقتل الطاقات.

وعلى القائد في النهاية أن يقود المناضلين بقناعاتهم، وليس بالمزاج أو استخدام سلطة الموقع، وعليه أن يقتنع بانه ليس على حق دائما كي لا يجنح نحو الفردية، أو الاستهتار بقدرات الآخرين وأدوارهم.

العمل المسلح.. تطور مشهود

لابد من القول أولا على هامش تطور العمليات المسلحة التي ينفذها أبطال الانتفاضة في هذا الوقت بالذات، وهي المتعلقة بتساؤل راود بعض تلك الأذهان المتعلقة بالعملية السلمية، والقائل لماذا الآن؟ ويتساءلون بخبث ألا يؤثر ذلك على مسار العملية؟ بالطبع ان تساؤلات هؤلاء طاشت مع اجراءات العدو الصهيوني الذي تحدى العملية السلمية وكل المحظورات الأخرى وقام بابعاد ٤١٨ فلسطينيا اثر العملية البطولية لمجاهدي الأرض المحتلة.

وعلى النقيض من تساؤلات هؤلاء وادعاءاتهم، فان التطور في العمل المسلح التي شهدته كل الأراضي العربية المحتلة جاء في وقته وزمانه، والمطالب أن يتضاعف طوال مرحلة التفاوض وان تسهم به كل القوى والتنظيمات والتيارات، لأن السبب المباشر وراء تطور العمل المسلح يكمن في المراوغات الاسرائيلية التي جعلت من المفاوضات تدور بغير أي نتائج ملموسة، وبدون وصول الى حد ولو ضئيل من الآمال التي علقت عليها في البدايات، اضافة الى أن الأفق لمجرى العملية يبدو غير مبشر بأية نتائج عملية، اللهم الا احتمالات نجاح اسرائيلي أمريكي باثارة الخلافات العربية من حول المسارات المختلفة لعملية التفاوض، والايحاء بالاتفاق

مع هذا الطرف على حساب الطرف أو الأطراف الأخرى.

فكأن الاسرائيليين يريدون القول لأصحاب العملية السلمية، أنه اذا كان اعداؤنا طوال المرحلة السابقة وفي ظل ادارة بيكر بوش اتسم بمثل هذه المعطيات، فانه سيكون أكثر غموضا وتلاعبا خلال مرحلة ادارة كلينتون، باعتباره صديقا مقربا للادارة الامريكية، فأي شيء لم يؤخذ خلال مرحلة بوش بيكر، فلن يكون خلال مرحلة كلينتون.. ولعل هذا ما يفسر التلكؤ الاسرائيلي خلال مرحلة انتقال الادارة الامريكية والذي صادف الجولتين السابعة والثامنة من المفاوضات.

ومن جانب آخر يمكن القول، بأن تطور العمليات المسلحة، كان موجها في الأساس الى كشف الغطاء والبرقع عن حقيقة توجهات ومواقف رابين الذي هو في الحقيقة اكثر تشددا من مستر "NO" وهي التسمية التي اطلقت على اسحق شامير، فرابين المملوء بهاجس الامن والثوابت الصهيونية الاحتلالية الاصلية، يفهم العملية السلمية، انه يريد الحصول بها على كل شيء مرة واحدة، وباضافة هامة عن الحكومات السابقة وخصوصا حكومات الليكود، بالحصول على كل شيء وبموافقة دولية رسمية من كل العرب وخصوصا الفلسطينيين. الذين عليهم التوقيع على الاتفاقيات كما يريد هو ودون تغيير أي فاصلة من رؤيتهم للحكم الذاتي واتفاقات السلام مع الدول العربية على غرار كامب ديفيد. واعادة التطبيع الاقتصادي وتغيير بنية المنطقة، الى منطقة شرق اوسط بقيادة "اسرائيل" ذات السلاح الكيميائي والذري والبيولوجي والتطور النوعي على كل المنطقة العربية بعد جريمة حفر الباطن.

ان المعطيات السابقة وذات الاثار على الراهن اليومي، لاتغفل من جانب اخر العوامل الاخرى التي واصلت ممارستها قوات الاحتلال في الاشهر الاخيرة، والمطاردات العنيفة التي قامت بها القوات المستعربة ضد المطاردين، والعنف الشديد لقطعان المستوطنين ضد المواطنين العزل، فاجراءات الامن زادت زيادة ملحوظة خلال حكم رابين واصبحت الاساس في التعامل اليومي مع الشارع الفلسطيني، فماذا يمكن ان يكون رد المواطن الفلسطيني وطلائعه النضالية غير مواجهة العنف بالعنف، والمجابهة بالمواجهة، ولعل امثلة الحصار الذي

لازال مفروضا على قطاع غزة منذ اسابيع، وذات الاجراء الذي طبق على بعض مواقع ومدن الضفة الغربية، جسدا المنطلق لهذا التصعيد النضالي الذي شمل كل الاراضي المحتلة بما فيها اراضي عام ١٩٤٨، حيث تم اختطاف الجندي الاسرائيلي من وسط مدينة اللد المحتلة. وحيث العملية الشجاعة في غزة التي اودت بحياة ثلاثة من الجنود الصهاينة، بالطبع كتب بعض المحللين الاسرائيليين، على ان هذا تطورا نوعيا في الاداء الفلسطيني، سيتسم بمزيد من التخطيط والدراية والجرآة ونضيف لهم بانه عمل نضالي سيتواصل ويستمر بجراءة أعلى وتخطيط أكثر احكاما في المراحل القادمة، اذا ما واصلت قوات الاحتلال بقاءها واذا استمر العنف والقمع ضد المواطنين الفلسطينيين.

ويظل في هذا المجال ايضا مكان لملاحظات هامة، نتوجه بها الى كل الاخوة المقاومين، في كل القوى والتيارات، ان ساعة الحقيقة القائمة تتطلب واكثر من أي يوم مضى، وحدة أقوى وأمتن بين كل التيارات والفصائل، وحدة تقوم على الهجوم ضد قوات الاحتلال، وتصعيد الانتفاضة في كل مجالاتها، فالوحدة بداية القوة، قوة الذات وقوة المجموع، وهي قادرة على مجابهة اجراءات العدو الامنية التي ستلجأ لها، فوحدتنا المتينة تساعدنا في الهجوم الناجح، ولتعزيزها لابد من الوصول الى صيغ العمل المشترك، سواء في العمل المسلح أو في اعمال الانتفاضة الاخرى.

وكل القوى في هذه المرحلة لها مصلحة في تطوير الكفاح المسلح، سواء الذين يرون استمرار العملية السلمية أو الذين لهم تحفظات عليها، أو حتى المناوئين لها، فخلق الحقائق النضالية يظل الامر الوحيد الذي يجبر الغزاة على احترام الخصم، ويوضح الى ابعد حد افكارهم الحقيقة، ومن جانب اخر يظل تصعيد العمل الانتفاضي مهمتنا ودورنا جميعا حتى يتم دحر الاحتلال عن ارض فلسطين .. فلنوسع من افاق وحدة الصف، ولنكيف ادائنا المسلح في كل فلسطين، ولنحافظ على الزخم الجماهيري الواسع للانتفاضة المباركة.. وبذلك نثبت للجميع ومنهم اسحق رابين، ان قضية فلسطين قضية وطنية مناضلة، لا يمكن ان تصفى باعمال ومناورات الامن مهما بلغت قوته وبشاعته. ■

نحو قرارات فاعلة بشأن قضية المبعدين

■ قرار الحكومة الاسرائيلية بابعاد ٤١٥ فلسطينيا، ورميهم نحو المجهول، يكشف حقيقة النوايا الاسرائيلية وما تضمره الصهيونية للشعب الفلسطيني من خطط وقرارات، ومن افشال للجهود الرامية الى تحقيق تسوية يأخذ الشعب الفلسطيني بموجبها حقوقه الوطنية.

وعلى الرغم من أن المناخ الدولي لا يهضم مثل هذه العملية، ولا يستسيغها، الا أن المؤسسة العسكرية الاسرائيلية الحاكمة نفذت وباصرار عملية الابعاد، واغلقت اذنيها لكيلا تسمع استنكار الرأي العام العالمي، خاصة وان شبكات التلفزيون ظلت تنقل الصورة المأساوية التي يعيشها المبعدون، الذين وجدوا أنفسهم في مرمى النيران، وسط جحيم البرد والثلوج، على الحدود، ينتظرهم مصير مجهول.

ومع ذلك، فان رابين ما زال يتحدث عن السلام، ما زال يؤكد قرارات الابعاد ويتحدث في الوقت نفسه عن السلام. وانه ليصح عليه القول: لا تنظر الى دموع عينيه بل أنظر الى فعل يديه.

الابعاد ليس قرارا اتخذ كرد فعل على عملية عسكرية، ولم يكن كما صرح المسؤولون في الحكومة الاسرائيلية أقل القرارات قسوة، وانما هو قرار مدروس، وله في العقيدة الصهيونية دلالات ومعان، فالابعاد والطرد، والاقتلاع والنفي من ثوابت الحركة الصهيونية..

فالصهيونية هي الاستيطان، والاستيطان هو التطبيق العملي للصهيونية والاستيطان يعني طرد السكان الاصليين، واحلال مستوطنين جدد مكانهم.

وعملية الابعاد الاخيرة رسالة واضحة .. فالابعاد سياسة ثابتة درجت على ممارستها الحكومات المتعاقبة الاسرائيلية، من بن غوريون وغولدامائير، الى بيغن وشامير ورابين.

من حرب عام ١٩٤٨ وطرد مئات الآلاف بالقوة والعنف والذبح الى حرب عام ١٩٦٧ ودفع المزيد من اللاجئين نحو الصحراء والمنافي، الى عمليات الابعاد الاخرى، الفردية والجماعية.

وكانت "اسرائيل" وما تزال تعتبر أبناء الشعب الفلسطيني الذين ما زالوا يتشبثون بالارض، سكانا في (ارض اسرائيل).. أي انها لا تعترف بان الارض الفلسطينية هي أرض محتلة، وهذا ما لمسه المفاوضون الفلسطينيون والعرب اثناء المفاوضات المريرة على مدى عام كامل، حيث لم تعترف بانصياعه لقرار ٢٤٢ على الاراضي الفلسطينية وتخطط ليكون الحكم الاداري الذاتي هو سقف العملية السياسية برمتها.

انطلاقا من ذلك، فالابعاد اذن ليس قرارا عابرا أو عقوبة عابرة.. انه ثابت من ثوابت العقيدة الصهيونية العنصرية.

وهي عملية اجرامية، تحاول "اسرائيل" تمريرها على الرغم من الادانة الدولية، ومن قرار مجلس الامن...

واذا ما تمكنت من تمرير القرار في مثل هذه الظروف الدولية، فان ذلك يعني نجاحها في ابعاد المزيد كما ونوعا في مرات قادمة، بل في ظروف دولية تمكنها ولا تمكن غيرها من القيام بمثل هذه الاعمال.

ويعني ذلك من جهة اخرى، تمكنها من كسر كل الاسس التي استندت اليها (محادثات السلام!!).

وتكسير للاسس التي قام عليها كتاب الدعوة لحضور مؤتمر مدريد، وكسر للنقاط الواردة في كتاب الضمانات.. وبالتالي اعلان صارخ عن عدم التزام "اسرائيل" بكل القواعد والاعراف التي حددتها قواعد الشرعية الدولية، وقرارات الامم المتحدة، والشروط التي حددها راعيا المؤتمر أو على الاقل الراعي الاميركي لمؤتمر مدريد ومحادثات السلام!!.

ان تحلل "اسرائيل" من كل الشروط التي من شانها أن تخضعها للالتزام بالقوانين الدولية، يعني تصفية القضية الفلسطينية، تحت سمع وبصر العالم وتحت سمع وبصر الامة العربية، ويعني بقاء الاحتلال، وتنفيذ سياسة الابعاد (الترانسفير) خطوة خطوة..

لقد فضح قرار الطرد حقيقة المواقف الصهيونية

حيث حاز على موافقة وزراء القوة التي تصف نفسها باليسارية (كتلة ميرتس)، والتي مهما حاول ممثلوها التبرير، فانها أعطت الغطاء لرابين، وساهمت في تنفيذ سياساته، وسياسات الحركة الصهيونية العنصرية.

لقد قوبلت جريمة الابعاد بالاستنكار العالمي، وبقرار مجلس الامن رقم ٧٩٩ الذي ينص على عودة المبعدين وعدم شرعية ابعادهم.

ولكن هل تنصاع اسرائيل لتنفيذ قرار مجلس الامن.. وهل يضع مجلس الامن في اجتماع لاحق آلية لتنفيذه، وهل يحدد مهلة زمنية للتنفيذ؟

واذا رفضت "اسرائيل" التنفيذ، هل تطبق عليها احكام الفصل السابع الذي يعطي الامم المتحدة حق استعمال القوة لتنفيذه كما حصل في حرب الخليج؟

وهل يكون ذلك بمثابة تحد للادارة الاميركية الجديدة، ادارة كلينتون؟؟!!

يعتمد ذلك بالتاكيد على الموقف العربي... فهل تكون جريمة (الابعاد) نقطة تحول في الموقف العربي؟

هل تكون جريمة (الابعاد) نقطة تلتقي عندها الامة لنصرة القضية الفلسطينية، وتنطلق منها لاعادة تصحيح موازين القوى لمنح القضية الفلسطينية القوة التي تمكنها من مواجهة التحديات. واشارة الى اجتماع الدول المشاركة في مفاوضات السلام، والذي عقد في القاهرة، واختتم يوم ١٩٩٢/١٢/٢٣، نقول أن قرارات ذلك الاجتماع غير كافية حين وجهوا الدعوة لمجلس الامن الى تحمل مسؤولياته.. الخ..

ويعرف القاصي والداني، أن القرار الذي يمكن أن يصنع هزة سياسية تعيد ترتيب الحسابات، هو القرار الذي يعلن عن وقف وتعليق المفاوضات الى ان تنصاع "اسرائيل" لقرار مجلس الامن باعادة المبعدين.

ويعرف الجميع ان المفاوض الفلسطيني لن يكون بامكانه معاودة المفاوضات دون عودة المبعدين الى ديارهم وبيوتهم.

اننا نقول بوضوح وصراحة، أن ما توصل اليه اجتماع (دول الطوق) ليس كافيا، ويتعين علينا أن نذكر بردود الفعل الاسرائيلية على ذلك الاجماع..

لقد رحب رابين بعدم اعلان الدول العربية المجتمعة تعليق مفاوضات السلام على الرغم من استمرار قرار الابعاد..

وقال رابين في مقابلة نشرتها صحيفة معاريف يوم ٩٢/١٢/٢٤ "انني اعتبر قرار الدول العربية عدم تعليق المفاوضات عملا ايجابيا". واضاف قائلا: انا لست نادما على قرار الابعاد، نحن على طريق السلام رغم المتاعب.

هذا ما قاله رابين، الذي يعرف ان هشاشة الموقف الرسمي العربي لا تشكل قوة مساندة للقضية الفلسطينية، وهو ماض في سياسة الاستفراد بكل دولة على حدة، بهدف اضعاف القضية الفلسطينية..

ان الخطوط العامة والعريضة للسياسة الاسرائيلية باتت واضحة تماما..

انها سياسة تحاول تطبيع العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية مع الدول العربية، وتجميد الحل في المسار الفلسطيني، انها محاولة لانتزاع فلسطين من محيطها القومي، والاستفراد بالشعب الفلسطيني والعمل به ذبحا وتقتيلا وابعادا..

لذلك، فان مسؤوليات كبيرة ستكون امام الاجتماع المزمع عقده في القاهرة في الاسبوع الاول من عام ١٩٩٣ على مستوى وزراء الخارجية، لمناقشة موضوع المبعدين، فهل سيكون ذلك الاجتماع نسخة اخرى من اجتماع دول الطوق أم أنه سيتخذ القرارات الاكثر وضوحا حول قضية المبعدين.. القرار الذي يرهن استمرار المشاركة في المفاوضات بتنفيذ قرار مجلس الامن حول المبعدين، وتعهد راعي المؤتمر الاميركي بالضغط على "اسرائيل" للانصياع الى قرارات الشرعية الدولية.

من جهة اخرى، فان الدول العربية التي ستجتمع في القاهرة مطالبة بفك الحصار المالي عن الشعب الفلسطيني، وعن ثورته، وعن انتفاضته..

لم يعد الصمت ممكنا على تلك الدول التي تفرض العقوبات على الشعب الفلسطيني بسبب حرب الخليج.

ومع ان الفارق كبير بين من ينتزع من وطنه وأرضه وأهله وبين من يطرد من عمله فان الحكومة الاسرائيلية استشهدت بفعلها بما قامت به حكومة الكويت من اعمال يندى لها الجبين...

والآن، ونحن نتحدث عن مواجهة عربية ضد الحكومة الاسرائيلية بشأن المبعدين، يتعين على دول الخليج تصحيح علاقاتها مع منظمة التحرير الفلسطينية ومع الشعب الفلسطيني، وفك الحصار المالي عن الانتفاضة وعن أسرى وشهداء شعب فلسطين.

اننا نأمل، ونرجو، ونتمنى ان تكون جريمة (الابعاد) تلتقي عندها الامة لنصرة القضية الفلسطينية بالفعل لا بالقول فقط، وتنطلق منها ايضا لمنح القضية الفلسطينية القوى الكافية ماديا ومعنويا لمواجهة التحديات القادمة.. وما أكثرها.. وما أخطرها!! ■

الوحدة في مواجهة الصلف الصهيوني

■ قامت حكومة الكيان الصهيوني بابعاد اربعمائة وسبعة عشر مناضلا فلسطينيا الى جنوب لبنان، وذلك على اثر عملية اختطاف احد افراد حرس الحدود الصهيوني رهينة لاطلاق سراح الشيخ احمد ياسين بعد ان رفضت تلك الحكومة شرط اطلاق السراح المطلوب.

ومعظم هؤلاء المبعدين من مناضلي حركة حماس.

وبغض النظر عن الحالة الانسانية والصحية التي يعاني منها الشيخ احمد ياسين والتي تربأ باية حكومة بادنى حس انساني عن الاستمرار في اعتقاله. لان الاستمرار باعتقاله مع حالته هذه انما ينم عن انعدام الحس الانساني وحتى السياسي، وعن مدى الهمجية وبذور الشر في عقل معتقليه.

بغض النظر عن تلك الحالة فان رفض قبول هذا الشرط وما ادى اليه من نتائج يحمل هذه الحكومة مسؤولية صلف موقفها.

ان الفشل الامني الذريع في احباط عملية الاختطاف او حتى القاء القبض على المختطفين، وكذلك الفشل الامني في مواجهة عمليات المقاومة النوعية في الفترة الاخيرة هو احد اسباب عدم التوازن في ردود الفعل.

فحكومة رابين لم تجد من وسيلة لمعالجة ومواجهة احتمال اهتزاز مكانتها وشعبيتها سوى اللجوء الى ردود الافعال التي لا تنم عن اي قدر من الشعور بالثقة بالنفس او التقيد ببعض القواعد الضرورية من اجل المحافظة على المظاهر الشكلية لتوازن الاجراءات.

وهذا الشعور او التوازن بالنسبة لنا ليس متوقعا من حكومة الكيان الصهيوني وخاصة مثل هذه الحكومة المراوغة. لان بعض ردود الافعال ليست مجرد ردود افعال وانما تنم عن حقيقة النوايا وحقيقة التوجهات وعن صفة انتهاز الفرص لاتخاذ الاجراءات المزمع اتخاذها والتي تدل على المنهج وحقيقة السياسة.

فليس جديدا ان من سياسة الكيان الصهيوني التخلص من السكان الفلسطينيين، وابعادهم، وليس جديدا ان تنفذ حكوماته المتعاقبة عمليات الابعاد.

لقد أتى حزب العمل وبرنامجه الدولة العبرية النقية، وبعد ان استنفذ شامير الاجراءات فيما يتعلق بالارض، لم يعد على رابين سوى المتابعة في مضمارها، واصبح هو صاحب الخط في الاتجاه الآخر لاستنفاذ ما يمكن من اتخاذه من اجراءات بحق الحجم الفلسطيني في الاراضي المحتلة بحيث يحقق هدف الدولة العبرية النقية او يقترب من هذا الهدف.

لذلك فان سياسة الترانسفير هي في صلب توجهات حكومة رابين، وهي السياسة التي بواسطتها وخلال هذه الازمة تمكن رابين من جمع التأييد من معارضيه وخصومه لانه اثبت ان مراوغته السياسية ما هي الا في خدمة التعنت اياه الذي اظهره سلفه اسحق شامير.

وبدون التركيز على الحالة اللاانسانية التي يتعرض لها هؤلاء المبعدون الفلسطينيون وظروف الطقس وصعوبته واطلاق الرصاص عليهم وتعرضهم للمخاطر فان الاسوأ من كل ذلك هو معنى الابعاد بحد ذاته.

ان معنى الابعاد ان هذه الارض المحتلة ليست ارضا محتلة، وهو المعنى الذي من شانه ان يصب في ذات السياسات التي تظهر كل التعنت حيال كل ما من شانه ان يدل على ان لهذه الارض اصحابها واصحاب السيادة عليها غير دولة الاحتلال وسلطاته.

ان المنازعة على حق السيادة حتى في اضيق بقعة من الارض هو السياسة الثابتة لهذا الكيان. كذلك فهو يرفض الالتزام باتفاقيات جنيف الرابعة حول التعامل مع سكان الاراضي المحتلة وهي الاتفاقيات التي تحرم ابعادهم، لان منطلق هذا التعامل هو الاقرار بحق الشعب في ارض وطنه.

وعلى الرغم من الاصوات الدولية التي استنكرت رد الفعل الصهيوني بالابعاد والعقاب الجماعي فان هذا لم يؤثر في صلفه ذلك لان الامر يمس هذا المبدأ بالذات

وهو مبدأ عن السيادة واين يقع حق السيادة، ولانه يمس ايضا مرتكزات قوة حكومة اسحق رابين..

لقد اصابت عمليات المقاومة اركان هذه الحكومة التي جاءت على اساس من برامج للمراوغة والخداع، وجعلتها تفقد اعصابها وتتصرف بحقيقة مواقفها على كل الصعد ودون استثناء اجراءات القمع في صعيد الارض المحتلة.

وفي المقابل فان هذه الاجراءات لم تزد الشعب الفلسطيني الا اصرارا على قناعته بان الجدوى تعتمد بشكل اساسي على خط الكفاح المسلح، وان هذا العدو وهذه العقلية الصهيونية لا تهزها الا البنادق.

لقد توحد الشارع الفلسطيني، وتوحد النبض الفلسطيني من خلف العمليات البطولية الجريئة، ولم يستوقف اي مناضل من المناضلين الفلسطينيين الانتماءات التنظيمية للأبطال الذين نفذوا تلك العمليات. حيث برز نبض مناضلي فتح متوحدا مع نبض المجاهدين في حركة حماس، في شارعنا الوطني وعلى اساس الوجدان الوطني قبل اي امر آخر.

وانعكس هذا النبض في المواقف لدى كل من حركتنا وحركة حماس، مواقف التقارب والحوار، وذلك بمجيء وفد من حماس واجراء جلسات من اللقاءات والحوارات اسفرت عن النتائج الايجابية.

لقد شرحت صدورنا برموز حركة حماس، واستقبلناهم كأخوة نضال وكفاح وابناء وطن واحد عزيزين علينا لان ديدبان شعبنا هو التمترس وراء حصن وحدتنا الوطنية، تلك الوحدة التي رفعنا شعارها على الدوام.

يجب ان تبقى الايدي ممتدة لاوسع نطاق من الوحدة، لوحدة جميع المناضلين في كافة الفصائل وعلى اساس البرامج الوطنية.

ولا تعني الوحدة الوطنية نهاية اختلاف الاراء او وجهات النظر، فليس هذا الامر هو المطلوب او هو الشرط.

ان اختلاف الآراء والاجتهادات هو احد المظاهر الصحية التي يتمتع بها شعبنا وخاصة عندما يعالجها على قاعدة الوحدة والحوار والتفهم واتساع الصدور.

لقد ظهرت بعض التمايزات في المواقف، وهذا امر طبيعي ومفهوم، مثلما سبق وان ظهرت مثل هذه التمايزات مع المنظمات الفلسطينية الاخرى كالجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية، ولكن احدا من الخصوم لم يتمكن من ان يجعل هذه التمايزات مدخلا للشروخ القاتلة. وقدمت الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية والفصائل الفلسطينية الاخرى نموذجا مع فتح على ارتفاع مستوى الحس بالمسؤولية الوطنية الشاملة وعلى ارتفاع مستوى الحس بالخطر الخارجي وبالعدو المشترك وبخطورة زلازله وامواجه.

وهو الامر الذي يبرز من جديد بين حركتنا وحركة حماس. وخاصة من خلال قضية هؤلاء المبعدين.

ان حركتنا لا تقبل ان يتم تمرير هذه القضية على اساس اي تسليم بان هذه الارض ليست ارضنا، او على اساس اي قبول باخراج هؤلاء المناضلين من ديارهم. وهي تعي البعد السياسي لذلك، بل وتعي البعد العملي من حيث كافة النتائج المحتملة وفي مقدمتها استمرار هذه السياسة ومواصلتها حيال كل مناضل فلسطيني بل وحيال كل وطني فلسطيني.. لن تقبل حركتنا ان يصبح الامر ساعة ندامة "اذ اكلت يوم اكل الثور الابيض"، وهي تعي ان قضية هؤلاء المجاهدين من حماس هي الخندق الامامي لدفاعنا عن حقنا في البقاء في وطننا، وحقنا في التشبث بأرض الوطن.

لذلك قامت م.ت.ف بالاجراءات السريعة من اجل ان لا تكون هناك نهاية لهذه المسألة سوى العودة الى ارض الوطن، واجرت في هذا السياق اتصالاتها بالحكومات المعنية وبالامم المتحدة كما وضعت مجهوداتها جاعلة هذه المعركة معركة وطنية شاملة.

بل واخذ هذا الامر حيزه في اجتماعات القيادة الفلسطينية التي شاركت فيها حماس، والتي انتهت بصدور بيان ابرز هذه المشاركة وابرز ارادة عمل واحدة باتجاه التنسيق والوحدة والعمل المشترك ضمن ارضية وطننا المعنوي م.ت.ف.

واننا الان اذ نواجه التحدي والامتحان نرحب باخوتنا من حماس، ونتطلع الى ان تتسع دوائر الحوار، ونتطلع الى الاخوة والرفاق الذين شاركونا المسيرة، والذين اثبتوا تمسكهم بالنهج النضالي الوطني لكي يكون الحوار شاملا ولكي تكون مواجهتنا لمزيد من الصلف الصهيوني بمزيد من الوحدة الوطنية ■

نحو شبكة علاقات فاعلة في الوحدة الوطنية الفلسطينية

■ شغلت موضوعة الوحدة الوطنية الفلسطينية الحيز الكبير من اهتمام العاملين في المجال السياسي والثوري الفلسطيني خلال مسيرة النضال الفلسطيني عبر قرن من الزمان وما تزال.

وقد يكون لخصوصية الوضع الفلسطيني وعدم تمتعه بالاستقلال، وخوضه معركة التحرر الوطني عبر ثورات وانتفاضات متتالية منذ أن تصدى للاحتلال الانكليزي ثم للاستعمار الاستيطاني الصهيوني، كان لتلك الخصوصية الانعكاس والتأثير البارزين في الاهتمامات الفلسطينية.

ان الاحساس والمشاعر الداخلية الكامنة في الذات الشعبية الفلسطينية كانت تؤشر دوما الى ضرورة انجاز الوحدة الوطنية كونها الوسيلة الوحيدة القادرة على التصدي للعدوان وتحدي العقبات المحيطة بالقضية الفلسطينية في غياب المؤسسة الكيانية الدولية للشعب الفلسطيني، أي غياب الدولة ذات السلطة والسيادة على الوطن.

وعرف تاريخ النضال الفلسطيني الأشكال المختلفة للوحدة الوطنية، وكان أبرزها شكل الوحدة ذات الطابع الديني الاسلامي - المسيحي، والمعبر عنه في الجمعيات الاسلامية - المسيحية التي شكلت فيما بينها المؤتمرات الفلسطينية الأولى وأخرجت اللجنة ثم الهيئة العربية العليا لفلسطين.. وقد يكون لخصوصية الوضع السياسي في بدايات القرن العشرين ثم تستر الحركة الصهيونية "باليهودية" الدافع وراء ذاك الشكل من الوحدة ردا على مقولات الاستعمار الغربي المستتر وراء الصليب، والصليب منه براء.

ثم كانت الثورة المعاصرة، والتي انضوى تحت لوائها الفلسطينيون من مختلف مشاربهم واحزابهم وقواهم السياسية والدينية، وكان الميثاق الوطني الفلسطيني المقر عام ١٩٦٤ هو القاسم المشترك الأعظم الذي يتوحد حوله الفلسطينيون.

وأصبحت الوحدة الوطنية، تعني فيما تعنيه، وحدة القوى السياسية، أو وحدة فصائل المقاومة، رغم أن هذه الفصائل جميعها، لا تشكل بعدد أفرادها نسبة ١٥٪ من مجموع أفراد الشعب.. ولكنها تشكل القوى الحية والمحركة للشعب والمسيطرة على قيادة منظمة التحرير الفلسطينية. ومن هنا كان التركيز دوما على الوحدة الوطنية بين الفصائل والقوى السياسية الفلسطينية.

ان البحث في الوحدة الوطنية الفلسطينية، هم، واهتمام يشغل بال القادة والكوادر والأعضاء في حركة "فتح" ويحرصون في كل مناسبة على المناداة بضرورة تمتين الوحدة والعمل على صيانتها والحرص عليها من خلال الحرص والدفاع عن القرار الوطني الفلسطيني المستقل والحفاظ على منظمة التحرير الفلسطينية ككيان سياسي وممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني.

وبلغ الأمر في بعض الأحيان أن تتعرض القيادة الى مجموعة من التنازلات التنظيمية - ان صح التعبير - وتقدمها لفصائل المقاومة الأخرى حرصا على المسيرة وانطلاقا من قاعدة "أم الولد" التي ترفض قسمة الولد كونه ولدها ومن صلبها..! هكذا يحدثنا التراث..

والتراث الفتحاوي، شهد خلال المسيرة المواقف الشجاعة التي أبلى بها الفتحاويون وقدموا دماءهم رخصية في سبيل الدفاع عن مواقف الآخرين، عندما تعرض أولئك للهجوم من قبل أعداء الثورة وأعداء الوطن.

ولقد رفعت "فتح" شعارات متعددة، ومارست على الأرض تلك الشعارات التي تدل على مدى تمسك الحركة بمبادئها وبأهدافها وبحرصها على وحدة القوى المناضلة، وكأمثلة على تلك الشعارات شعار كل البنادق

نحو العدو - وحدة البنادق المقاتلة - اللقاء على أرض المعركة.. ثم ممارسة القيادة الجماعية، والاكتفاء بعدد مناسب من الأعضاء في القيادات الشعبية، وفي منظمة التحرير مع أن الحركة قادرة على الانفراد في القيادة وبالانتخابات الجماهيرية.. ولكن ايمان الحركة بالمشاركة الواسعة للقوى السياسية وللجماهير جعلها تكتفي بثلاثة أعضاء قياديين في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية من أصل ثمانية عشر عضوا فيهم كل ممثلي الفصائل والمستقلين..

فليس الهدف لدى "فتح" الاستئثار بالقيادة، وانما هدفها دفع الجميع الى القيادة وممارستها في سبيل النضال وتحرير التراب الفلسطيني من الاحتلال الاستيطاني الصهيوني.

وقد تميزت "فتح" ببعض الشعارات التي صبغتها مثل "دع الأزهار تتفتح في حقل الثورة".. فالثورة لكل الشعب ولكل القوى السياسية والثورية العاملة على تحرير الوطن.. وكانت "فتح" دوما رائدا في مساندة ومساعدة كل القوى الناشئة حتى يصلب عودها وتأخذ مكانها في صفوف الثورة.. وفي اتجاهها العام وخطها العام..

ان "فتح" تدرك بأن الاختلاف في التكتيك وفي فهم ادارة الصراع عبر مراحله المختلفة، هو سمة الحركات والقوى السياسية، بل قد يكون أحيانا عاملا مميزا في داخل صفوف الحركة.. الا أن المنطلقات الاستراتيجية والأهداف الاستراتيجية هي واحدة لدى كل القوى والفصائل والأفراد.. فلا اختلاف على تحرير فلسطين، ولا اختلاف على كون الكفاح المسلح هو استراتيجية للتحرير، ولا اختلاف على أن العدو هو الامبريالية العالمية والصهيونية العالمية اضافة الى رأس الأفعى "اسرائيل"، ولا خلاف على أن الشعب الفلسطيني هو الجسم الأساسي والمعني مباشرة بالمعركة وأنه جزء من الأمة العربية ووطنه جزء من الوطن العربي الكبير..

ويقع الاختلاف في كيفية ادارة الصراع، وأحادية النظرة والغاء فهم الآخر.. أي احتكار المعرفة وبالتالي احتكار الوطنية والعمل لها..

ان في منظمة التحرير الفلسطينية المتسع للجميع من أجل صناعة القرار، ولكن عندما يؤخذ القرار، فان الجميع يلتزم به، كل وفق دوره ومهمته وتكتيكه فالاصطفاف في منظمة التحرير الفلسطينية، هو اصطفاف قوى مناضلة متكاملة في مهامها بحيث تحقق التفوق الكمي والكيفي على العدو، وليس اصطفاف التماثل ذو النسخ ("الكربونية") الفاقدة الخصائص المعطلة للمجموع. فشبكة العلاقات المطلوب نسجها بين القوى، ويجب ألا تكون شبكة "صفرية" في محصلتها. وهذا يعني ضرورة تطبيق علم الاستراتيجية الادارية في بناء العلاقات القائم على فن تنظيم استخدام الموارد والقوى الأخرى المصاحبة لها والتفوق بها، لالحاق الخسائر بالعدو بوسائل الصراع المختلفة.

ان عمل القوى السياسية في وحدتها، يجب أن يشبه عمل وظائف جسد الانسان فلكل طرف وحاسة وجزء من جسم الانسان مهمته ولكن في اطار الجسد الواحد، مهمات مختلفة تؤدي في محصلتها عملا موحدا.. فالعين قد تبصر الشيء واليد تمتد لتمسك به بعد أن يصدر لها الأمر من الدماغ.. فلا العين بقادرة على القيام بعمل اليد، ولا اليد بقادرة على أداء مهمة العين وكلاهما لا يعمل ان لم يصدر الأمر من الدماغ.. وهكذا..

ان التعايش "السلمي"!! بين القوى القوى وبين أفراد قوى الشعب الواحد، على قاعدة التكامل في أداء المهمات، واحترام كل مهمة للمهمة الأخرى لانجاز عمل وهدف الشعب الواحد يصبح مطلبا ملحا في عصر القرن الحادي والعشرين والذي يهدد فيه وجود الشعوب الضعيفة والدول المفككة.. فكيف بنا ونحن شعب يعاني الاحتلال ويعاني الاغتراب ويعاني الظلم..!

وفي اشتداد الهجمة المسعورة على الشعب الفلسطيني، وفي ظل تنامي الانتفاضة وتزايد التضحيات، يصبح من أولى المهمات الملقاة على عاتق "الفتحويين" حماية المسيرة ومساندة القوى الثورية واحاطتها بالاطار الاستراتيجي العام، وتهيئة الأوضاع الداخلية لمؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية كي تستوعب كل القادمين اليها، تعزيزا للجهد وتكريسا للمبادىء.. فالثورة للشعب بكل جماهيره التي تخوض الثورة وتمارسها والحركة هي التنظيم الثوري القائد وعلى هذا الاساس، هي القوة التنظيمية الثورية صاحبة الحق في توجيه الثورة.. ■

الانطلاقة
استراتيجية الثورة حتى النصر

■ لم تكن الرصاصات الاولى التي انطلقت في الفاتح من يناير عام ١٩٦٥ مجرد اعلان عن ميلاد حركة ثورية مسلحة فحسب، وانما كانت انقلابا في المفاهيم النضالية التي سادت الوطن العربي كله منذ عام ١٩٤٨ الذي اصطلح على تسميته عام النكبة. كانت المفاهيم النضالية السائدة تنطلق في معظمها من تحليلات احادية الجانب، ترتكز على الواقع العربي المجزأ ولا تكلف خاطرها عناء البحث في اعماق مفهوم الكيان الصهيوني ووجوده على ارض فلسطين، والابعاد الاستعمارية والامبريالية التي فرضت وجوده كضرورة حتمية لتحقيق مصالحها. لهذا كانت استراتيجية الوحدة العربية طريق تحرير فلسطين، والحرب النظامية الخاطفة، هما الشعاران الاساسيان في سياسات الدول والاحزاب والحركات والقوى السياسية، ناهيك عن تلك القوى التي كانت ترى ان الوحدة الاسلامية وقيام الدولة الاسلامية هي الشرط الضروري للتحرير.

وعلى الرغم من وقوع عبء النكبة اساسا على الشعب الفلسطيني، الا ان التطلع نحو الوطن وتحريره كان يشد الشباب الفلسطيني نحو الانتماء الذي يعتقد ان فلسطين من خلاله اقرب. وكانت النتيجة ان توزعت طاقات الشعب الفلسطيني لولاءات قومية او دينية او اممية متناحرة. ومع نهوض الناصرية واستقطابها الاكبر للشباب الفلسطيني والعربي خاصة بعد تبنيها لاسلوب الكفاح المسلح، وتنظيمها لمجموعات الفدائيين في قطاع غزة، بدأت ملامح الطريق الى فلسطين تزاوج بين النضال من اجل الوحدة والنضال من اجل فلسطين، وتربط بينهما بعلاقة جدلية. وعلى الرغم من الهزيمة التي مني بها العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، الا ان النتيجة المباشرة (فلسطينيا) لهذا العدوان كان سقوط قطاع غزة تحت الاحتلال الصهيوني، وبداية المواجهة المباشرة بين جماهير الشعب الفلسطيني في قطاع غزة وبين قوات الاحتلال الصهيوني. ولئن كان انسحاب العدو الصهيوني من سيناء وقطاع غزة عام ١٩٥٧ قد تم دونما تطبيع او توقيع على اتفاق استسلام كما جرى في كامب ديفيد، الا ان الانسحاب فرض توقف الاعمال الفدائية من قطاع غزة، وجعل مهمة الحفاظ على الامن فيه منوطة بالحاكم العسكري المصري.

اصبح واضحا امام الشعب الفلسطيني في كل اماكن تواجده ان قضية فلسطين تحولت الى قضية حدود بين الكيان الصهيوني والانظمة العربية. وانه ما لم يتول الشعب الفلسطيني قضيته الوطنية بنفسه، فانها ستظل على مستوى الانظمة العربية قضية مزايدات وحدود، وعلى مستوى الامم المتحدة قضية لاجئين وتموين. كان جوهر الصراع يضيع في ظلال مظاهره الكثيرة. فاسم فلسطين، قد قرر الامبرياليون والصهاينة شطبه عن الوجود ارضا وشعبا ليتسنى لهم تكريس وجود النقيض المادي ارضا وشعبا تحت اسم «اسرائيل». والواقع العربي التقى في مرحلة ترديه، مع متطلبات الهدف الامبريالي الصهيوني في مرحلة نهوضه، على تدمير الكيانية الفلسطينية. فتم تشتيت الشعب الفلسطيني بين الاحتلال في الجليل والمثلث والنقب، وبين الاردن في الضفة الغربية، ومصر في قطاع غزة، والمخيمات التي انتشرت في لبنان وسوريا والضفة والقطاع. ناهيك عن الشتات الطوعي الذي تطلبه البحث عن لقمة العيش. اما الارض الفلسطينية فقد سطا الاحتلال الصهيوني على الجزء الاكبر منها واعلن قيام دولته «اسرائيل» عليه. وتم ضمّ الضفة الغربية لتصبح جزءا من المملكة الاردنية الهاشمية. كما ضمت سوريا منطقة الحمة والحق قطاع غزة بمصر اداريا.

هكذا كان لابد لنداء الحياة ان ينطلق باعثا اسم فلسطين التي ضيعتها المساومات. وكان لابد من تحرك الشعب الفلسطيني نفسه. وهكذا كان ميلاد حركة التحرير الوطني

الفلسطيني (فتح) قبل اربعة وثلاثين عاما، ضرورة تاريخية فرضتها متطلبات الوجود والنضال للشعب العربي الفلسطيني.

كان على (فتح) ان تستوعب دروس عشر سنوات من الركود والضياع الفلسطيني لتحدد بوضوح وعلى اساس علمي، جوهر الصراع في المنطقة، وموقع فلسطين في هذا الصراع، انطلاقا من منهج ثوري في المعرفة، يعتمد الشمولية المتطورة اساسا لدراسة الواقع، بعيدا عن النظريات الاحادية الجانب، والقاصرة عن الفهم المتطور للاحداث المستقبلية. وحين يتحدد جوهر الصراع تتحدد طبيعته ومظاهره واطرافه واهداف كل طرف. وهكذا حددت (فتح) نظريتها الثورية بمبادئها واهدافها واساليبها. واعلنت في عام ١٩٥٨ بيان حركتنا وهيكل البناء الثوري اللذين حددا بوضوح استراتيجية الانطلاقة الثورية المسلحة. كما حددت الركائز الاساسية الثلاثة التي تقوم عليها هذه الاستراتيجية... استراتيجية الانطلاقة... استراتيجية الثورة حتى النصر.

الركيزة الاولى: هي الاستقلالية وعدم الخضوع او التبعية او التوجيه من اية جهة الا الشعب الفلسطيني. كان واضحا ان ما اعلنته (فتح) هو حالة تمرد على واقع الهيمنة والسيطرة التي حاول كل نظام او حزب ان يفرضها على قطاع من ابناء الشعب الفلسطيني، انطلاقا من التوجه نحو اهداف تخدم مصلحة الامن الاقليمي على حساب الامن القومي المتمثل خطره الاول بوجود الكيان الصهيوني. وعلى الرغم من تهمة الاقليمية التي حاولوا الصاقها بـ(فتح). الا ان جوهر الصراع كان يقتضي ان يوضع الحصان امام العربة وليس العكس. وكان يقتضي ان تكون القطرية الفلسطينية طليعة النضال القومي العربي الشامل، لانها تمثل النقيض المادي للكيان الصهيوني. كان على العرب جميعا ان يفهموا ان اسم فلسطين وكيانها الشرعي، ارضا وشعبا، هو اهم الاسلحة القومية لمواجهة السلاح الامبريالي المصلت على رقاب الامة العربية كلها، وهو سيف الكيان الصهيوني سيف «اسرائيل».

الركيزة الثانية: وهي الحق التاريخي للشعب الفلسطيني في ارض فلسطين وحقوقه الثابتة غير القابلة للتصرف، بما فيها حقه في العودة وتقرير المصير واقامة دولته الديمقراطية المستقلة وعدم الاعتراف بحق الكيان الصهيوني في الوجود على حساب حقوق الشعب الفلسطيني.

الركيزة الثالثة: وهي ان الثورة الشعبية المسلحة هي الطريق الحتمي والوحيد لتحرير فلسطين، بكل ما تحمله كلمة الثورة من اشكال متعددة للنضال، على مستويات النضال الجماهيري والتنظيمي والعسكري، وما يحققه التكامل الفعال بين كل هذه الاشكال لضمان استمرار النضال حتى تحقيق النصر. وهي ثورة شعبية لانها تعتمد اساسا على الشعب وعلى خط الجماهير النضالي الطويل الامد، وما يعنيه من تعبئة كافة الطاقات الشعبية من أجل تغيير الواقع الفاسد المتمثل بوجود الكيان الصهيوني تغييرا جذريا. وهي ثورة شعبية مسلحة لان الكفاح المسلح فيها استراتيجية وليس تكتيكا ولن يتوقف هذا الكفاح الا بتحقيق اهداف الشعب الفلسطيني.. انها استراتيجية الثورة حتى النصر.

على هذه الركائز الثلاثة شيدت (فتح) هيكلها الثوري، وبدأت مرحلة نضالها السياسي والتنظيمي والاعلامي والجماهيري، الذي استمر سبع سنوات قبل أن يتقرر موعد الانطلاقة في الفاتح من يناير - كانون ثاني ١٩٦٥. كانت تلك اللحظة التاريخية التي فصلت بين الزناد والاصبع قد تحققت فيها استراتيجية تكامل الركائز الاساسية للثورة المسلحة. فالارادة فلسطينية غير تابعة ولا خاضعة أو موجهة. والهدف تحرير فلسطين وتحقيق كامل الاهداف الوطنية للشعب الفلسطيني. والاسلوب كفاح شعبي مسلح ينطلق من فوهة بندقية موجهة بالخط السياسي الوطني الثوري الذي اعلنته فتح. وبالخط الجماهيري الذي يضع مهمة الطليعة الثورية على الشعب الفلسطيني كأساس، وعلى جماهير الامة العربية كشريك في المعركة والمصير. وبالخط الكفاحي المناضل والكفاح المسلح المستمر بالثورة حتى النصر.

كانت المفاجأة مذهلة على كافة المستويات. فالانظمة العربية كانت قد اعلنت قرارها بانشاء كيان فلسطيني يجمع ارادة شعب فلسطين، وبقيام هيئة تطالب بحقوقه، وذلك في مؤتمر القمة العربي الاول عام ١٩٦٤. ثم رحبت بقيام منظمة التحرير الفلسطينية، واعلنت عن تشكيل جيش التحرير الفلسطيني في مؤتمر القمة العربي الثاني في نفس العام. كان جيش التحرير الفلسطيني يتبع عمليا هيئة اركان الدولة التي يتواجد فيها. ولذلك فوجئت الانظمة العربية بانطلاقة عمل مسلح وممارسة عسكرية مباشرة وعلى الارض دون اخذ الاذن منها. فالاستقلالية كانت خطرا تخشاه الانظمة التي كانت تريد للفلسطيني ان يكون تابعا مباشرا او جرما يدور

في فلك مخابراتها. ومن هنا كانت الهجمة على الانطلاقة قاسية متعسفة ومتجنية. وبدأت الاصوات تتهم قوات العاصفة التي اعلنت البلاغ الاول في ١ يناير - كانون ثاني ١٩٦٥ بان وراءها حلف السنتو. والبعض الصق علاقتها بالاخوان المسلمين. وبدأ حسنو النية يعارضون الانطلاقة لتجاوزها المبادىء الضرورية للعمل الناجح الذي يتطلب الانطلاق في الوقت المناسب. وطرحوا مقولة التوقيت، والى جانبها طرحوا مقولة التنسيق الشامل كشرط ضروري لنجاح العمل المسلح. اما سيئو النية فقد اتهموا قوات العاصفة بالعمل لتوريط الانظمة العربية في معركة هي ليست مؤهلة لخوضها.

وكان الذين يلعنون ظلام الاحتلال اكثر من نجوم السماء. ولكن احدا منهم لم يضىء شمعة واحدة. وعندما اضاءت العاصفة هذه الشمعة عملوا على اطفائها.

(وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا)

سورة الإسراء

صدق الله العظيم

اما الامبرياليون والصهاينة، فقد كانوا يدركون خطورة هذا التحرك خصوصا بعد اكتشافهم حقيقة استقلاليته وعدم خضوعه لاي من الانظمة العربية. كان بروز الشخصية الفلسطينية في المجال العربي والدولي من جديد هو اكثر ما يزعج حكام الكيان الصهيوني، الذين بنوا استراتيجيتهم على أن الجيل الاول سيموت، وان الجيل الثاني سينسى. فاذا بفلسطين تتجدد كالعنقاء تنتفض من تحت الرماد لتعلن الثورة حتى النصر.

كان المشروع الصهيوني قد زرع على ارض فلسطين من اجل تحقيق استراتيجية التوتر الدائم، التي تبنتها الامبريالية في مرحلة تصديها لحركات التحرر الوطني. وهذه الاستراتيجية تستهدف تكريس التجزئة والتخلف والتبعية في الوطن العربي، وذلك عبر تكريس التفرقة بين الانظمة والشعوب وضمان تبعية حكامها للسياسة الامبريالية، وحرمانها من تطوير مجتمعاتها وجيوشها واقتصادها، واستثمار مواردها الطبيعية بما يخدم مصلحة الشعب والامة على المستويين القطري والقومي. وأصبح البحث عن وسائل تأمين الامن الاقليمي يشغل بال الانظمة ويجعلها تعيش تحت وطأة الخوف من الكيان الصهيوني ومن يقف وراء الكيان الصهيوني. كان تأثير استراتيجية التوتر الدائم واضحا على كل الانظمة العربية. فلقد سيطرت النزعة الاقليمية لدرجة ان الاحزاب القومية صارت تتحول الى اقليمية. واصبحت المهمات الاساسية لهذه الانظمة ترتكز على حماية ذاتها. وكان هذا الموقف يؤمن عوامل الامان والاطمئنان التي تضمن مستقبل الكيان الصهيوني ووجوده من جهة، وتأديته لمهمته الامبريالية من جهة أخرى. اما وقد انطلقت القوة الفلسطينية المستقلة التي تبعث طاقة الحركة في الجماهير العربية فتحول طاقاتها الكامنة الى قوة جبارة فاعلة فان هذا يعني انطلاق النقيض المدمر للكيان الصهيوني، ولكل المخططات الامبريالية واطماعها في المنطقة العربية. لهذا كان قرار التصدي لهذه الظاهرة حاسما يتطلب الرد التأديبي السريع ضد كل المناطق التي ينطلق منها العمل الفدائي او تتواجد فيه خلاياه السرية. كان هدف الرد المباشر هو تحميل الانظمة العربية في دول الطوق مسؤولية القضاء على ظاهرة العمل الفدائي. وتحويل هذا العمل من خطر ومشكلة للكيان الصهيوني، الى خطر ومشكلة عربية. وبذلك تتحول مهمة حماية حدود الكيان الصهيوني الى الجيوش العربية في دول الطوق. وتلاحقت الغارات والهجمات الصهيونية ضد مواقع حدودية في الضفة الغربية وقطاع غزة وسوريا، وامتلأت سجون الانظمة بالمناضلين، ولكن ركيزة الاستقلالية وتأمين سلامتها كان الضمانة الاساسية للاستمرار بالعمل.

وكان لابد للكيان الصهيوني وقد عجزت الانظمة ان تضع حدا للعمل الفدائي ان تقوم بنفسها بعدوانها الشامل عام ١٩٦٧. وقد كرس هذا العدوان بصورة لا تقبل الشك طبيعة الامبريالية الامريكية المرتبطة بالكيان الصهيوني وطبيعة التردي الفاضح لواقع استعدادات الانظمة العربية الهجومية والدفاعية على حد سواء. ولئن كان العدوان يستهدف ضرب الفكرة الفلسطينية المستقلة في مهدها، فانه كان ايضا يستهدف ضرب الروح القومية المستقلة المتوثبة التي بعثها الرئيس جمال عبد الناصر في مصر والوطن العربي. لقد كان اخضاع مصر لتسليمها بحق الوجود للكيان الصهيوني هو اول اهداف الامبريالية لضمان مستقبل هذا الكيان.

لقد بلغ الكيان الصهيوني ذروة سطوته وجبروته بعدوان ١٩٦٧. وبدا للعالم أجمع، وكأن العالم العربي بشعوبه وجماهيره ودوله وانظمته سيخر راكعا امام هذا الكيان الذي

اثبت على الارض انه قوة لا تقهر. وقبل ان يفيق العدو الصهيوني من نشوة انتصاره، كان قرار (فتح) باعلان الانطلاقة الثانية في ٢٨ آب - اغسطس ١٩٦٧. انطلاقة من ركام اليأس والتردي الى قمة الامل والتحدي. انطلاقة من محيط هزيمة الجيوش، الى منبع انتصار الانسان. وامام الانطلاقة وامام نتائجها المباشرة والعظيمة في صفوف الجماهير الفلسطينية والعربية، وامام التحدي الكبير الذي فرضته (فتح) انقضت الصهيونية بكل قواها لتسحق منبع الريادة ومبعث الاعتزاز القومي فكان التصدي الكبير للعدوان.. وكانت الكرامة في ٢١ آذار - مارس ١٩٦٨، المعركة التي فتحت صفحة جديدة للنضال العربي ضد الكيان الصهيوني. واثبتت بما لا يقبل الشك ان الانسان هو العامل الحاسم في المعارك وليس السلاح. وان حرب الشعب الطويلة الامد وخط الجماهير المسلح بالارادة الصلبة، هما الضمانة الاساسية للنصر، وليس خط الانظمة المساومة.

لقد اكدت معركة الكرامة فيما اكدته من حقائق، كانت غائبة عن اذهان الكثيرين، ان الارادة والعزيمة الصلبة والانسان المناضل هما الاساس الذي يضمن النصر وليس تكديس السلاح... كما اكدت ان المناضل الطليعي الواعي عندما يتبنى قضية شعبه فانه بما يحمله بين اضلاعه من روح الاستشهاد، يستطيع ان يجترح المعجزات. ولقد اكدت معركة الكرامة ايضا ان التجربة الخاصة والظروف الخاصة بكل حركة ثورية هي منبع الابداع لاتخاذ القرارات المناسبة وليس مجرد التطبيق الاعمى لتجارب ناجحة لدى شعوب اخرى. واكدت ايضا ان العالم لا يشعر بالعطف على الضعفاء والمستسلمين وانما يحترم الاقوياء الذين يصمدون من اجل تحقيق حقوقهم. فالعالم لا يحترم ضعف اصحاب الحق كما انه يرفض صلف وغطرسة اصحاب الباطل. لقد اظهرت معركة الكرامة شجاعة الانسان العربي الفدائي والجندي الرسمي وانهما عندما يخوضان معركة التحرير جنبا الى جنب، يستطيعان تحقيق النصر. وان اسطورة الجيش الصهيوني الذي لا يقهر، ظهرت على حقيقتها عندما وجد ان جنود هذا العدو مقيدون بالسلاسل داخل دباباتهم حتى لا يستطيعوا الهرب، في حين كان جنود الجيش الاردني مقيدين بقرارات عدم القتال. وحين حطم الجندي الاردني قيده لم يستطع الجندي الصهيوني الافلات من قبضة القدر العاتية التي الحقها به الفدائي الفلسطيني مع اخيه الجندي في الجيش الاردني. وكان هذا التلاحم وهذه الملحمة البطولية في الكرامة هي بداية لرد الاعتبار لكرامة الجماهير العربية التي انسحقت في حزيران.

وبدأت قيود الانظمة، على اسم فلسطين، تتآكل لدرجة اصبحت ورقة اجازات المقاتلين جواز سفر العبور الى الوطن العربي باسم فلسطين، مؤكدة صحة الشعار الفتحوي، فلسطين... طريق الوحدة.

وازداد الخوف الامبريالي الصهيوني من هذه الظاهرة وشموليتها. وحاول العدو الصهيوني ضربها المباشر بكل الوسائل. ولكن الثورة الفلسطينية التي بدا واضحاً للعيان انها تزداد قوة ويزداد التلاحم الجماهيري بها فلسطينيا وعربيا كلما تعرضت للتصدي المباشر للعدو الصهيوني، سواء من موقع الدفاع او من موقع الهجوم عسكريا. وكانت العمليات العسكرية تتضاعف داخل الارض المحتلة كلما تعرضت القواعد الارتكازية للثورة في الاردن او لبنان او سوريا للعدوان الصهيوني.

وتفتق الذهن الامبريالي عن قرار يستهدف تصفية الثورة ويضع مهمة هذه التصفية على الانظمة العربية، وجاء قرار الصهيوني كيسنجر (كل نظام تتواجد فيه الثورة الفلسطينية المسلحة عليه أن يقوم بتصفيتها، وكل نظام يرفض أو يعجز عن القيام بهذه المهمة سنقوم نحن بتصفيته).

وجاء روجرز في محاولة لدق أول اسفين بين الثورة الفلسطينية والرئيس جمال عبد الناصر. ثم بين الثورة الفلسطينية والاردن... فكان ايلول ١٩٧٠، ووقفت القيادة السورية الى جانب الثورة الفلسطينية تدعم صمودها ضاربة عرض الحائط بالتهديد الامريكي، فكان لابد من تصفيتها. وجاء النظام السوري الجديد ليساهم مع الاردن في مخطط تصفية الثورة في احراش دبين وعجلون، ثم عمل على التضييق على استقلالية الثورة الفلسطينية في محاولة لتدجينها.

واتسعت ثلوج جبل الشيخ لطموحات فلسطين واتسع جنوب لبنان لراية الثورة ورجالها وفتحت المخيمات الفلسطينية في لبنان أبوابها لتتحول الى ثكنات عسكرية جماهيرية للثورة. وفتح الوطنيون اللبنانيون للثورة الفلسطينية الصدور قبل الدور. فكانت ملحمة تناغم ثوري استمر سنوات منبرا للديمقراطية في غابة البنادق. وملجأ لكل ثائر ضد الامبريالية والصهيونية والعنصرية.

لقد استطاعت الثورة الفلسطينية أن تتجاوز جميع العقبات وسلسلة المؤامرات التصفوية التي استهدفتها ابان ايلول وما بعده. وأصبح الوجود الفلسطيني الكياني مكرسا ومجسدا في منظمة التحرير الفلسطينية مما جعل العدو الصهيوني يتجه الى سياسة ضرب رؤوس المنظمة وقياداتها وممثليها في الخارج.

ولقد شن العدو الصهيوني حربا ضارية جند لها كل ما لديه من امكانيات مخابراتية. فقد شكلت جولدا مائير جهازا خاصا لتصفية قيادات الشعب الفلسطيني. وعينت على رأس هذا الجهاز اهرون ياريف، الذي يعمل رئيسا للاستخبارات العسكرية في الجيش الصهيوني. وانتقلت ساحة الصراع خارج الارض المحتلة. وردت الثورة على هذه الحرب بضرب ادواتها الاساسية مما احدث شللا في جهاز الاستخبارات العسكرية الصهيونية، فاذا بحرب رمضان تدق معاقل الكيان الصهيوني وتحقق العبور وتحرير الجولان خلال ساعات... في الوقت الذي الذي كانت فيه اجهزة المخابرات الصهيونية تتابع خططها الارهابية ضد قيادات الثورة الفلسطينية.

وعلى الرغم من محاولة الاعلام العربي الصاخب اغفال الدور البطولي لمقاتلي الثورة الفلسطينية، فأن الحقيقة والممارسة العملية فرضت نفسها، فاعترف وزير اعلام الكيان الصهيوني بان منظمة التحرير الفلسطينية قد فتحت جبهة ثالثة في الشمال ضد «اسرائيل». ولقد اثبتت حرب رمضان من جديد أن اسطورة الجيش الذي لا يقهر هي خرافة تكرست من خلال محاولة تدمير الارادة العربية للقتال. فأي جيش لا يمكن أن يقهر اذا كان خصمه مستسلما ومسلما بالهزيمة. أما الشعب، وروح الشعب الخلاقة فانها كانت وستبقى ابد الدهر رمز الصمود والمقاومة، الذي لا يستسلم ولا يساوم على المبادىء. ولقد اضافت حرب رمضان اهمية زخم الجيش النظامي اذا حارب من اجل التحرير وفي اطار استراتيجية النصر. اما اذا كانت حربه من اجل التحريك فان العدو سيكتشف مواطن ضعفه، كما جرى في الدفرسوار وفي الهجوم المعاكس على الجولان. واعاد المقاتل الفلسطيني الاعتبار لدور حرب العصابات وحرب التحرير الشعبية الطويلة الامد... واهميتها عندما تتكامل مع الحرب النظامية المسلحة بارادة الثورة حتى النصر.

وكانت حرب رمضان، بكل ما حملته من ايجابيات وسلبيات وما طرحته في حينه من امكانية فرض الانسحاب على العدو من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧، حيث وصل التضامن العربي درجة كاد يشكل فيها ولأول مرة ضغطا حقيقيا على الولايات المتحدة، لتتخذ موقفا اقل انحيازا للكيان الصهيوني.

وقررت القمة العربية في الرباط ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني. واسقط في يد كيسنجر الذي كان يخطط عبر رحلاته المكوكية لانجاز اتفاقيات ثنائية بين الكيان الصهيوني والدول العربية، مصر وسوريا والاردن كل على حدة، شاطبا منظمة التحرير الفلسطينية والشعب الفلسطيني الذي لم يرد ذكره في قراري مجلس الامن ٢٤٢، ٣٣٨، واعتبر كيسنجر ان قضية الشرق الاوسط اصبحت بعد قرار القمة، تحتاج الى خياط جديد يعيد حياكة ثوبها الملائم. وكان في جعبة كيسنجر مقص الاجرام، يخطط من أجل تصفية الثورة الفلسطينية التي لم تكن قد حققت الاعتراف الدولي بعد.

واصبحت الكيانية الفلسطينية المتجسدة في منظمة التحرير الفلسطينية، التي كرسها الشعب الفلسطيني ممثلا شرعيا وحيدا له. واصبحت المنظمة تفرض نفسها على الواقع العربي كما كرسته قمتا الجزائر والرباط.

وكان الاعتراف الدولي بالمنظمة يتطلب منها التعامل مع قرارات الامم المتحدة المتعلقة بقضية فلسطين. فكان لابد من وضع برنامج مرحلي وطني يعتبر خطوة على طريق النضال الطويل الشاق، بما لا يتعارض مع الركائز الاستراتيجية لحركتنا.

واجتمع المجلس الوطني في عام ١٩٧٤ في دورته (١٢) واقر البرنامج المرحلي، برنامج النقاط العشر، الذي تبنت فيه منظمة التحرير الفلسطينية اقامة السلطة الوطنية على اي جزء يتم تحريره من ارض فلسطين. وقد اعتبر ذلك البرنامج في حينه، انه الخطة الاعتراضية لمخطط التصفية الامبريالية الصهيوني. وقد كانت اول منجزات هذا المشروع، اقرار الامم المتحدة بعضوية مراقب في الجمعية العمومية لمنظمة التحرير الفلسطينية بتاريخ ١٩٧٤.١١.٢٢، بعد أن كما تمت دعوة الاخ ابو عمار رئيس اللجنة التنفيذية لالقاء خطابه التاريخي امام الجمعية العمومية في ١٩٧٤.١١.١٣، حيث شرح البرنامج المرحلي. واعلن انه جاء يحمل بندقية الثائر في يد وغصن الزيتون في اليد الاخرى. وناشد الامم المتحدة قائلا: (لا تسقطوا الغصن الاخضر من يدي).

واستطاع الصهيوني كيسنجر ان يلزم الادارات الامريكية القادمة بعدم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية او اقامة اي حوار معها الا اذا اعترفت المنظمة بحق «اسرائيل» في الوجود، ونبذت الارهاب، والكفاح المسلح، واعترفت بقراري مجلس الامن ٢٤٢، ٣٣٨. وقد لعب البرنامج المرحلي الفلسطيني دورا هاما في اجهاض كل البرامج والمشاريع التصفوية السياسية التي حاولت تمزيق وتصفية الثورة الفلسطينية. لقد شكل البرنامج المرحلي خطة اعتراضية لمشاريع الاستسلام فاعطى للثورة قدرة الصمود والمناورة مع المحافظة على الخط الاستراتيجي العام للثورة. وقد أكدت سنوات التلاحم الفلسطيني اللبناني بكل ما فيها من ايجابيات وما تضمنته من سلبيات على ان الثورة الفلسطينية وجدت لتبقى، ووجدت لتنتصر.

كانت منظمة التحرير الفلسطينية تدرك ان السلطة الوطنية لا يمكن ان تتحقق على ارض الواقع عبر المفاوضات في ظل اختلال ميزان القوى بشكل ساحق لصالح العدو الصهيوني، خاصة ان السادات كان يلهث خلف الحل الجزئي والصفقة المستفردة، التي قادت الى كامب ديفيد. وفي نفس الوقت، اقحمت الثورة الفلسطينية المتحالفة مع القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية في مواجهة مع القوى الانعزالية. وتطورت الحرب لتصبح المواجهة مع النظام السوري طبقا لتخطيط الوقيعة التي اعدها كيسنجر. وقد عبر شعبنا في فلسطين المحتلة عن احتجاجه الصارخ ضد محاولات تصفية ثورته في لبنان. وتصاعدت وتلاحقت انتفاضات شعبنا احتجاجا على ما كان يجري في لبنان ووصلت الانتفاضات اوجها خلال حصار مخيم تل الزعتر الذي صمد اكثر من سبعين يوما، وصد اكثر من مائتي هجوم ومحاولة اقتحام من القوى الانعزالية.

وفي تل الزعتر كانت بداية تجربة تشكيل اللجان الشعبية لمواجهة متطلبات الصمود. فشكلت اللجنة الشعبية العامة من ممثلين عن كل فصائل الثورة والاتحادات الشعبية وعدد من وجهاء المخيم، وتفرعت عن اللجنة العامة لجان للتموين والامداد والصحة والاغاثة والاعلام والحراسة والاتصالات. وكانت قيادة الميليشيا تتحمل مسؤولية العمل العسكري بالتنسيق المتواصل مع القيادة في بيروت والجبل لتأمين الدعم المستمر بالامداد والمشاركة في ضد الهجمات الانعزالية المتتالية بواسطة الحزام الناري، الذي كانت مدفعية الثورة في الجبل تؤمنه لا جهاض الهجمات وافشالها.

وما ان استطاعت الثورة الفلسطينية ان تجمد التناقضات الثانوية التي كانت تستهدف اقحامها في معارك جانبية، حتى انقضت على الكيان الصهيوني، حيث التناقض الاساسي. فخاضت سلسلة من المعارك البطولية والعمليات الجريئة المنطلقة من تنظيم خلايا الثورة في فلسطين المحتلة او من قواعد الانطلاق في الخارج. وكان من ابرز هذه العمليات عملية الشهيدة دلال المغربي. لقد جسدت المرأة الفلسطينية عبر مشاركتها الفعالة في اطر الثورة بكل اشكالها طبيعة التكامل النضالي لشعبنا الفلسطيني، والذي يتخذ ابهى اشكاله وارقى مظاهره اليوم في فلسطين المحتلة.

كانت ردة فعل العدو الصهيوني على التصعيد الثوري المسلح ضد مستعمراته ومراكز تجمعاته ومصانعه العسكرية، ان شن هجومه المكثف ضد قواعد الثورة في جنوب لبنان بهدف تصفيتها. وعلى الرغم من حشد العدو المكثف برا وبحرا وجوا فقد تصدت له قوات الثورة الفلسطينية والقوات المشتركة الفلسطينية اللبنانية وجماهير الشعبين اللبناني والفلسطيني في تلاحم نضالي، سيظل احد الصور المشرفة والمشرقة في تاريخ امتنا العربية. وعجز الجيش الصهيوني بكل آلياته وامكانياته عن احتلال مدينة صور ومخيماتها. كانت آليات العدو قد حاصرت منطقة صور وتجاوزتها الى الليطاني. وعندما طلبت القيادة الصهيونية من رئيس الاركان الصهيوني اقتحام صور، قال انه لا يستطيع ان يدخل عش الدبابير. فلقد واجه العدو الصهيوني في مخيم الرشيدية صورة خارقة لبطولة اطفال الار بي جي الذين حولوا خلال دقائق ارتال الاليات الى اكوام من الحديد الملتهب.

وسقطت مقولة بريجنسكي، وداعاً منظمة التحرير الفلسطينية. ونتج عن اغلاق الحدود العربية كلها في وجه الثورة الفلسطينية المسلحة. ان تكرس الاهتمام بالبناء التنظيمي والمؤسساتي داخل فلسطين المحتلة جنبا الى جنب مع متطلبات النشاط العسكري والسياسي والاعلامي في الخارج، حيث اصبحت منظمة التحرير الفلسطينية عضوا مراقبا في الامم المتحدة وعضوا كامل العضوية في الجامعة العربية وفي المؤتمر الاسلامي وفي مؤتمر عدم الانحياز. واصبح لها في الخارج اكثر من مائة سفارة ومكتب وممثلية.

واصبح الطفل الفلسطيني يولد في فلسطين المحتلة وهو يحمل شهادة الانتماء الى منظمة التحرير الفلسطينية. فالاسرة التي ولد فيها ان لم تكن قد قدمت شهيدا ففيها حتما الجريح او المعتقل او الاسير او الذي مر بهذه الظروف على الاقل. والحضانة التي يتعلم فيها تقدم له صورة فلسطين مع كأس الحليب. والروضة التي تنشئه يتعلم فيها الرسم وخربشات الطفولة واناشيد الثورة تملأ اوراقه الوان العلم الفلسطيني والكوفية الفلسطينية وصوته الناعم البريء يغرد منذ الطفولة. فلسطين بلادي.. وطن اهلي واجدادي...

وفي المدرسة يتعلم الطفل والفتى مناهج الثورة التي تطمس وتعري مناهج الاحتلال.

وكان لابد من غطاء علني لنشاطات التنظيمات السرية. فبدأ التركيز على المنظمات الجماهيرية والاتحادات والنقابات المهنية. ولعب تنظيم الشبيبة دوره القيادي في تأطير الشباب تحت واجهات الاندية والفرق الرياضية والكشفية والفنية. كما نشط اتحاد المرأة في بناء مؤسسات الرعاية والحضانة والانتاج المنزلي للتراث الشعبي الفلسطيني. وركز اتحاد العمال على انشاء التعاونيات. ونشطت الفعاليات الثورية في اطرها الجماهيرية والمهنية المعنية. فنشط اتحاد الطلاب في الجامعات والمعاهد والمدارس. ونشط المهندسون والمعلمون والاطباء والصيادلة والمحامون والكتاب والصحفيون والتشكيليون والفنانون والفلاحون كل في مجاله.

ولعبت الجامعات ومجالسها الطلابية دورا قياديا في تأجيج نار الانتفاضات المتعاقبة عبر نشاطاتها الفعالة في الاعتصامات والاضرابات والمظاهرات الاحتجاجية والمصادمات مع جيش الاحتلال الصهيوني، على الرغم من تعرض الجامعات المستمر للاغلاق والمحاصرة. وكانت الجامعة الوطنية الكبرى لتعليم دروس الثورة وبناء الكادر القيادي، هي سجون ومعتقلات العدو الصهيوني، حيث كانت المواجهة البطولية تتم بين المناضل الفلسطيني الاسير او المعتقل الاعزل، وبين الجلاد الصهيوني بكل ما يحويه سجنه ومعتقله من ادوات التعذيب والاذلال وقتل الروح المعنوية والصمود. وكم كانت هذه المعارك الصدامية داخل الزنازين وغرف التحقيق قاسية. ولكن الارادة الصلبة التي كانت السلاح الوحيد للمناضل الفلسطيني مدعما بالقناعتين الرئيسيتين للثائر الفتحوي والفلسطيني وهما:

* الايمان المطلق بحتمية النصر

* والاستعداد الدائم للتضحية.

كانت هذه الارادة الثورية تنتصر على قبضة السجانين الحديدية. وكانت تتجلى في اسمى معانيها يوم تصل الارادة الى حد الاستشهاد فيحترق السجان غيظا وروح المناضل تصعد الى بارئها في السماء حاملة معها اسرار الثورة وعنفوانها ومكرسه الثقة وكرامة النفس وسياج الثورة والوطن.

وعلى الرغم من الحدود المحروسة من الجانبين، فقد كثفت الثورة اختراقاتها للموانع المزدوجة. وكان الجنوب اللبناني اسهل مناطق التصعيد حيث لم تكن قوات الطوارىء الدولية تشكل سدا منيعا، كما هي الحال على الحدود العربية الاخرى. وحين انصبّت المدفعية الفلسطينية الثقيلة على المستعمرات الاشكنازية في نهاريا وما حولها، جن جنون الكيان الصهيوني وهو يشاهد الثورة تركز عملياتها ضد مجتمع النخبة الحاكمة في الكيان الصهيوني، وفي عمق هذا الكيان. واصبح واضحا عجز امكانية تصفية الثورة الفلسطينية بايد عربية. فكان لابد من قيام الكيان الصهيوني مدعما بكل اسلحة القتل والدمار الامريكية باجتياح لبنان وبهدف تصفية البنية التحتية للثورة، ومن ثم القضاء على الوجود المادي والمعنوي لمنظمة التحرير الفلسطينية، وجعل الاحتلال الصهيوني امرا واقعا، وطمس الشخصية الفلسطينية المستقلة الى الابد. كانت طموحات الجنرال هيج والجنرال شارون قد هيأت لهما ان العملية تبدو سهلة وكانها نزهة تستغرق ساعات او ايام، فاذا بالجيش الصهيوني يعبر ارض الرمال المتحركة في لبنان، وتصبح عملية العشرين الف جندي من القوات الصهيونية اربعين.. فستين، فتسعين، فمائة وخمسين الف جندي مع كل ما يساندهم برا وبحرا وجوا، وجميعها اصطدمت بصمود القوات والجماهير الشعبية المسلحة في جنوب لبنان. ثم واجهت السد الوطني الثوري اللبناني والفلسطيني، المدني الشعبي والعسكري، وتحطمت على صخرة صمود بيروت طموحات هيج المعزول وحملة شارون الغازي، التي تسمرت ثمانية وثمانين يوما على اسوار بيروت الصمود، دون ان تستطيع اقتحامها على الرغم من الهجمات المتتالية برا وبحرا وجوا، واستخدام كل انواع الاسلحة الفتاكة، بما فيها الاسلحة المحرمة دوليا، والاسلحة التي تستخدم لاول مرة، حيث كان الانسان الفلسطيني واللبناني حقل تجارب لاسلحة الامبريالية

الامريكية المجرمة. ولعبت اللجان الشعبية دورها الفاعل في تأمين الصمود البطولي في بيروت. وظن الامبرياليون والصهاينة انهم باجلائهم المقاتلين عن بيروت وتوزيعهم في معسكرات بعيدة عن ارض فلسطين قد حققوا الغاء دور الكفاح المسلح الفلسطيني، والغاء الارادة الفلسطينية المقاتلة. وللامعان في قتل الروح المعنوية الفلسطينية قام شارون بالمجزرة الرهيبة ضد المخيمين الاعزلين صبرا وشاتيلا، وقام باحتلال بيروت الغربية بعد ان غادرها فرسانها وحماتها تحت ضغط تجنيبها وسكانها من التدمير الشامل.

وجاء المفاجأة الكبرى للادارة الامريكية وهي تشاهد العنقاء تخرج من الرماد واشلاء اوزوريس تتجمع من الشتات جسدا متماسكا بارادته القوية. فقوات الثورة الفلسطينية التي ظنوا انهم القوا بها في منافي الشتات والفناء، تتجمع في الشطر الجنوبي من اليمن، لتقوم باعظم استعراض عسكري احتفالا بالذكرى السابعة عشرة لانطلاقة فتح، انطلاقة الثورة المسلحة. وجاءت القوات خلال ساعات لتشارك قوات الثورة المتواجدة في اليمن بشطريه. جاءت من الجزائر ومن تونس ومن دمشق ومن بغداد ومن السودان، لتؤكد حقيقة اساسية، وهي ان البعد الجغرافي لم يعد يشكل في هذا العصر عائقا عن الوصول الى قلب المعركة، في الوقت المناسب، شريطة توفر الارادة الثورية المقاتلة.

وعلى الرغم من العدوان الصهيوني الشامل على لبنان عام ١٩٨٢ الذي كان النتيجة المباشرة لاتفاقيات كامب ديفيد، الا ان الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية والقوى اللبنانية المناضلة صمدوا بشكل اسطوري سجل ملحمة بطولة التلاحم بين الشعبين الفلسطيني واللبناني بنور ونار، سيظل ابد الدهر نبراسا لكل الشرفاء والاحرار في العالم. وعلى الرغم من خروج المقاتلين الفلسطينيين من لبنان وتوزيعهم على معسكرات بعيدة عن خط المواجهة، الا ان حقيقة الوجود الفلسطيني على كافة الاصعدة، كان قد تثبت، وثبت معه خارطة فلسطين في قلب الكرة الارضية كحقيقة راسخة، بغض النظر عمن ينظر اليها ومن أية زاوية.

بدأت المشاريع العربية والدولية تحاول وضع البرنامج المرحلي الفلسطيني موضع التنفيذ. فكان مشروع ريغان الذي تجاهل الحقوق الفلسطينية الثابتة وتعامل مع القضية انطلاقا من قرار ٢٤٢ الذي يعتبرها قضية لاجئين. وتبعه مشروع قمة فاس، ثم مشروع بريجنيف، اللذان حددا بشكل واضح ضرورة اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على الاراضي المحتلة بعد عدوان ١٩٦٧. وعلى الحدود الآمنة والمعترف بها لكل دول المنطقة. وكان الموقف الفلسطيني يتطلب اول ما يتطلب تجسيد الوحدة الوطنية حتى لا تكون هذه المشاريع بما فيها من ايجابيات وسلبيات سببا في تمزيق الساحة الفلسطينية. وجاء المجلس الوطني في الجزائر لكي يجيب عن الاسئلة بوضوح فكانت قراراته كما يلي:

١ـ بما يتعلق بمشروع ريغان:

(ان مشروع ريغان في نهجه ومضمونه لايلبي الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني، لانه يتنكر لحق العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، ولمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني. ويتناقض مع الشرعية الدولية، ولذلك يعلن المجلس الوطني الفلسطيني رفض اعتباره اساسا صالحا للحل العادل والدائم لقضية فلسطين والصراع العربي الصهيوني).

٢ـ بما يتعلق بمشروع بريجنيف.

(يعبر المجلس الوطني الفلسطيني عن التقدير والتأكيد للمقترحات التي تضمنها مشروع الرئيس بريجنيف الصادر في ١٦ سبتمبر ١٩٨٢، والذي يؤكد على الحقوق الوطنية الثابتة لشعبنا، بما في ذلك حقه في العودة، وتقرير المصير، واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي والوحيد).

٣ـ بما يتعلق بقرارات قمة فاس والمشروع العربي للسلام:

(يعتبر المجلس الوطني قرارات قمة فاس الحد الادنى للتحرك السياسي للدول العربية، الذي يجب ان يتكامل مع العمل العسكري بكل مستلزماته، من اجل تعديل ميزان القوى لصالح النضال والحقوق الوطنية الفلسطينية والعربية. ويؤكد المجلس ان مهمة هذه القرارات لا تتناقض مع الالتزام بالبرنامج السياسي وقرارات المجلس الوطني).

لقد انطلق المجلس الوطني في قراراته من الحرص على الوحدة الوطنية والانسجام مع البرنامج المرحلي وتأكيد الركائز الاساسية للانطلاقة، ورفض ما يتعارض معها استراتيجيا. وعلى هذا الاساس، كان رفض مشروع ريغان، الذي يكرس حق الكيان الصهيوني في الوجود من جهة،

ويتجاهل حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره من جهة اخرى.

وكان ما تضمنه المشروع السوفيتي للسلام من تأكيد على الحقوق الثابتة، وبقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، بصفتها الممثل الشرعي الوحيد هو الدافع لتقدير وتأييد هذا المشروع. اما مشروع السلام العربي فانه الى جانب تأكيده على الاستقلالية الفلسطينية بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، فقد اكد ان المشروع هو الحد الادني للتحرك السياسي العربي، الذي يجب ان يتكامل مع العمل العسكري بكل مستلزماته.

وبدأت مؤامرة تقويض الركائز الاساسية للانطلاقة. وبدأ التناغم بين قبائل الانظمة لتوزيع دم المنظمة عليها. وكان لابد من يهوذا فجاءت المحاولة الانقلابية داخل (فتح)، وحاولت الانظمة تعميمها بشق المنظمة تحت شعار البحث عن البديل، وهم في الحقيقة يهدفون الى تدمير كل ما هو فلسطيني اصيل، وشطب كل ما يتعلق باستقلالية الشعب الفلسطيني وارادته وتقرير مصيره. كانت خطوات التآمر متناسقة. يتناوب فيها الترغيب والترهيب، والمجاملات البروتوكولية وصليات الصواريخ التي انهارت على مخيمات البارد والبداوي وطرابلس. وكان فهم قيادة الحركة والمنظمة لطبيعة المؤامرة الى جانب المعلومات التي كانت تصل اولا باول عن طبيعة فصولها، دور أساسي في القدرة على التصدي لها، وتجاوزها عبر التسامح الوطني الفلسطيني، وفضح الادوار المرتبطة باجهزة المخابرات. ولان حبل الانقلابات والمؤامرات الفاشلة قصير جدا، فقد انقلب السحر على الساحر. وفشلت الامبريالية الامريكية في تصفية الثورة عبر المحاولات الانقلابية والمعارك الجانبية في البقاع وطرابلس.

وكان لتجربة الحصار في طرابلس اهميتها حيث صمدت قوات الثورة في وجه الحصار المزدوج. واستطاعت وهي في هذه الظروف ان تقوم بعملية استراتيجية، كان لها اثرها الفعال في مسار النضال الفلسطيني. فقد تمت عملية تحرير المئات من الاسرى والمعتقلين من سجون العدو الصهيوني مقابل الافراج عن الاسرى الصهاينة. وكان اصرار الثورة على تحرير المحكومين بالمؤبد وبما يزيد عن عشرين عاما وخاصة من سكان الارض المحتلة، شريطة ان يتم الافراج عنهم ومنحهم الحرية للعيش داخل فلسطين.

لقد خرّجت الجامعة الوطنية الكبرى طلابها اساتذة كبارا، يعرفون دروس الثورة وقد تمرسوا وخبروا وعرفوا نقاط ضعف العدو الصهيوني. ولم تعد لجنوده ولسجانيه وآلياته واسلحته اية رهبة. لقد تكسر حاجز الخوف من العدو الصهيوني امام جماهير الشعب الفلسطيني نساء ورجالا، اطفالا وشبابا وشيوخا وكهولا. فبعد ان كانت المواجهات الجماهيرية، تستر خلفها البنى التنظيمية للفصائل المقاتلة، اصبح قادة التنظيمات الفلسطينية المسلحة في الداخل احرارا وقادة وقدرة نضالية لجماهير الارض المحتلة.

وبدأت مؤامرة تصفية الوجود الفلسطيني في لبنان لتمرير مؤامرة التوطين. فقامت منظمة التحرير الفلسطينية باعادة معظم المقاتلين لحماية المخيمات حتى لا تتكرر مأساة صبرا وشاتيلا من جديد. وعلى الرغم من الصفقات المشبوهة التي استوجبت استخدام قوى شقيقة لتصفية المخيمات، الا ان الصمود البطولي لهذه المخيمات لاكثر من ثلاث سنوات، كان يكرس معجزة الصمود الفلسطيني في اسمى معانيها. وكان يؤكد انه بالثورة يصبح الخارق اليفا. وحين توجهت المؤامرة الامريكية الصهيونية لمحاولة اغتيال الاخ ابو عمار والقيادة الفلسطينية في حمام الشط، اصبحت الامور اكثر وضوحا. واكدت الثورة الفلسطينية بذلك ان كل الدول العربية هي دول مواجهة. فما دام العدو الصهيوني يستطيع ان يمد ذراعه المجرمة لتطال المفاعل النووي في العراق وحمام الشط في تونس، فان اليد العربية يجب ان تعرف كيف تمتد لاجتثات الخطر، الذي لا يهدد الشعب الفلسطيني فحسب، وانما يهدد الامة العربية في كرامتها ووجودها وحريتها واستقلالها.

وانعقد المجلس الوطني.. في الجزائر وتعززت الوحدة الوطنية الفلسطينية ايذانا بانطلاق وحدوي ارحب، يؤكد ان عام ١٩٨٧ سيكون عام فلسطين، فقد سقطت كل محاولات تسويق منظمة التحرير الفلسطينية، في سوق النخاسة الامبريالية بتعريتها من ركائز الانطلاقة ركائز الثورة حتى النصر. فقد طلبوا من المنظمة ان تعترف بقراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨، والاعلان عن التخلي عن الكفاح المسلح والتنازل عن دورها المستقل، هذا من جهة. في الوقت الذي كانت فيه مؤامرة تصفية الشعب الفلسطيني ووجوده في مخيمات لبنان يسير متناسقا مع خطوات تصفية المنظمة. كانت الهجمة على المخيمات تحت شعارات (امل)، تستهدف تقويض العلاقة التاريخية النضالية بين الشعبين اللبناني والفلسطيني، وفتح افاق جديدة امام الكيان الصهيوني، ليقطف ثمرة عدوان ما اسماه «سلامة الجليل»، بتأمين المستوطنات في شمال فلسطين من ضربات الثوار.

كان ترحيل المخيمات من جنوب لبنان وبيروت يحقق للنظام السوري في لبنان هيمنة وسيطرة تلغي استقلال لبنان ووحدته. في الوقت الذي يحقق هذا الترحيل للكيان الصهيوني نموذجا يقتدي به لترحيل المخيمات الفلسطينية في الضفة والقطاع الى خارج فلسطين باعتبارها بؤر التوتر وصواعق الانتفاضات المتعاقبة. ولكن الصمود البطولي للمخيمات وتجلي الوحدة الوطنية الفلسطينية المعمدة بالدم بين قواعد المقاتلين في هذه المخيمات، ورفض كل ما كان يصدر اليها من اوامر وتعليمات بافتعال معارك اقتتال فلسطيني / فلسطيني، كان المفتاح الحقيقي والمجسد الاول للوحدة الوطنية التي تم تتويجها في المجلس الوطني في الجزائر وتكريسها التمسك بالركائز الاستراتيجية للانطلاقة.

عام ١٩٨٧ هو عام فلسطين. عام الشعب الفلسطيني. هذا ما قررته الامم المتحدة من خلال اللجنة الدولية للتنسيق بين المنظمات غير الحكومية المعنية بقضية فلسطين. هذا العام هو عام الذكريات السبع المريرة والصفحات السوداء التي لا تزال تطارد الضمير الانساني. فعام ١٩٨٧ يحمل الذكرى التسعين للمؤتمر الصهيوني الاول الذي بدأ وضع شعار ارض بلا شعب لشعب بلا ارض موضع التنفيذ.

وعام ١٩٨٧ يحمل الذكرى الثمانين لمؤتمر الاستعمار، مؤتمر كامبل بنرمان الذي كرس ضرورة زرع الكيان الصهيوني على ارض فلسطين كضرورة تاريخية تتطلبها مصلحة كل الدول الاستعمارية.

وعام ١٩٨٧ يحمل الذكرى السبعين لوعد بلفور الذي اعطاه من لا يملك لمن لا يستحق، معلنا بداية وضع الدول الاستعمارية لاستراتيجية التوتر الدائم موضع التنفيذ.

وعام ١٩٨٧ يحمل الذكرى الاربعين لقرار تقسيم فلسطين. الذي كرس التوتر الدائم بتمزيقه لفلسطين ارض السلام ومهد الديانات والمقدسات والمكان الاكثر ملاءمة في العالم، ليكون الدولة الديمقراطية المستقلة التي يعيش فيها المواطنون جميعا ولهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات ودون تمييز بسبب العنصر او الدين او العقيدة.

وعام ١٩٨٧ يحمل الذكرى العشرين للعدوان الصهيوني المدعم مباشرة بالامبريالية الامريكية والذي زرع في نفوس العسكريين الصهاينة نزعة الغطرسة التي جعلتهم يقدمون على ضمّ بعض المناطق التي تم احتلالها مثل القدس والجولان ونهب نصف مساحة الضفة الغربية والقطاع باسم الامن والاستيطان.

وعام ١٩٨٧ يحمل الذكرى العاشرة لزيارة العار والاستسلام من قبل السادات الى القدس وتسليمه بشروط الكيان الصهيوني والامبريالية الامريكية بحق الكيان الصهيوني في الوجود على حساب الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني. ولقد كان جواب الشعب على مؤامرة كامب ديفيد واضحا برفض التطبيع والمعاهدة وبالاطاحة برمز كامب ديفيد، التي لا تزال قيودها تكبل الارادة المستقلة لشعب مصر العظيم.

وعام ١٩٨٧ يحمل الذكرى الخامسة للعدوان الصهيوني الشامل على لبنان وما حمله هذا العدوان من جرائم ارتكبها العدوان الصهيوني ضد الشعبين الفلسطيني واللبناني باستخدامه الاسلحة المحرمة دوليا وبتحويله المخيمات والقرى والمدن الى ساحات تجريب لفعالية الاسلحة الامريكية الحديثة الاختراع. وقد بلغت هذه الجرائم ذروتها بمذابح صبرا وشاتيلا.

هذه الصفحات السوداء السبع للذكريات المريرة جعلت بيريز يعلن وهو يزور مصر ان عام ١٩٨٧ سيكون عام حل القضية الفلسطينية. ونحن نعرف ان حل القضية الفلسطينية على الطريقة الصهيونية يعني طريق كامب ديفيد. ولكن ثوار فلسطين الابطال يستلهمون من الذكريات المريرة دروس نضال عميق. يضاف الى جانب الدروس التي تتراكم من خلال ايجابيات النضال الفلسطيني المتعاظم. فلقد تعززت الوحدة الوطنية الفلسطينية في عام ١٩٨٧ بعد ان تم تحقيقها على الارض في حرب الدفاع عن المخيمات والشعب الفلسطيني في لبنان. كما ان عام فلسطين شهد التفافا عالميا حول برنامج الثورة وتأييدا للمؤتمر الدولي ذي الصلاحيات، والذي يضمن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني. كما ان عام ١٩٨٧ فرض تعزيز التضامن العربي في مواجهة الخطر الناتج عن العدوان الغاشم على العراق الى جانب الخطر الذي يشكله استمرار الوجود الصهيوني على الارض الفلسطينية. وبدأت موجات الانتفاضة تتقارب وتتصاعد وتنتقل من مكان الى مكان

ثورة حتى النصر ثورة حتى النصر

داخل الارض المحتلة. وبلغت ذروتها يوم ظهرت محاولة طمس الهوية الفلسطينية وجعل القضية الفلسطينية من الدرجة الثانية في مؤتمر القمة العربي الطارىء في عمان. يومها، ونذكر للتاريخ الوقفة الرائعة للاخ المناضل الرئيس علي عبد الله صالح وللرئيسين صدام حسين والشاذلي بن جديد واصرارهم على تاكيد القرارات السابقة للقمم العربية والمتعلقة بالقضية الفلسطينية وتأكيد انها جوهر الصراع في الشرق الاوسط.

وكان الوضع الدولي يحمل في طياته بوادر انفراج دولي ووفاق يمكن ان يساهم في الدفع باتجاه مؤتمر دولي للسلام ذي صلاحيات. وتشارك فيه منظمة التحرير الفلسطينية على قدم المساواة لانجاز الحقوق المشروعة غير القابلة للتصرف لشعبنا الفلسطيني، بما فيها حقه في العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

وفي ديسمبر ١٩٨٧ لم تجد القضية الفلسطينية مكانا لها في جدول اعمال قمة العملاقين نتيجة اصرار الرئيس الامريكي على تجاهل الشعب الفلسطيني.

كان الغليان الوطني الثوري في فلسطيني المحتلة قد بلغ مداه. فالثورة ومنظمة التحرير الفلسطينية مهددة بالتصفية، والعالم العربي يقف متفرجا منقسما على نفسه. وكان لابد للخارق ان يصبح اليفا... فانفجرت في الارض المحتلة جماهير الشعب الفلسطيني في انتفاضة مباركة، ظن الصهاينة انها ليست سوى موجة عادية من موجات الانتفاضات السابقة، لدرجة ان وزير الحرب الصهيوني الذي كان في زيارة لامريكا لم يكلف نفسه مشقة العودة خلال الاسبوعين الاولين للانتفاضة، تاركا مهمة معالجتها لشامير بذكائه المعروف جدا.

وبدأت خطة جديدة لتصفية المنظمة والانتفاضة، انطلقت في البداية من الفصل العضوي والفكر والسياسي بين الانتفاضة ومنظمة التحرير الفلسطينية. وامتلأت الصحف والمجلات بالمقالات المشبوهة والبريئة، تمجد الانتفاضة وقادتها في الداخل بهدف التركيز لخلق قيادة بديلة عن منظمة التحرير الفلسطينية، وهو احد الطموحات التي حاول شولتز تحقيقها في جولاته المكوكية لانقاذ الكيان الصهيوني. وجاء الجواب من داخل فلسطين المحتلة، من الشخصيات والفعاليات والاتحادات والجماهير المنتفضة، تعلن ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني. وارتفع العلم الفلسطيني وصور الاخ ابو عمار في كل المناسبات لتؤكد حقيقة الانتماء والتواصل. وكان للدور النشيط الذي شاركت فيه التيارات الاسلامية ولدور المسجد البارز في الانتفاضة كنقطة وتجمع وانطلاق وتعبير، ان حاولت القوى المعادية للاسلام والمسلمين ان تربط الانتفاضة بالخميني وغيره من الاحزاب بهدف الايقاع وخلق الشرخ في وحدة الانتفاضة. وكان للمشاركة الفعالة لكل جماهير شعبنا الفلسطيني المسلم في غالبية، مع الاخوة المسيحيين من ابناء شعبنا، والدور النشط للكنيسة جنبا الى جنب مع الجامع، اكبر الأثر في الوحدة الوطنية العميقة التي تحققت والتي اكدتها كل البيانات والنداءات، رافضة اية محاولة للانجرار الى معارك جانبية تقسم الشعب الفلسطيني الى فصائل وعقائد وشرائح هو في غنى عنها، وهو يواجه وجود الاحتلال الصهيوني وقبضته الحديدية التي لا ترحم احدا. وظهر ان هذه التفرقة وهذه التسميات ليس لها على ارض الواقع اي دور، وانما هي من ابداع الامبريالية والصهاينة يتخذونها وسيلة لاجهاض الانتفاضة ولكن خسئوا...

(يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾)

سورة التوبة

صدق الله العظيم

وحين فشلت اساليبهم توجهوا الى الرأس الملهم والمخطط للانتفاضة، الاخ ابو جهاد نائب القائد العام والمسؤول المباشر عن العمل في الارض المحتلة. وحيث لايمنع حذر من قدر فقد نفذت ارادة الله ومشيئته، وودعت الجماهير العربية والاسلامية امير الشهداء في موكب استفتاء ومبايعة للثورة الفلسطينية وللانتفاضة المباركة. وظن المجرمون انهم سيطفئون بجريمتهم جذوة الثورة الشعبية فاذا بالبركان الهادر في فلسطين يتمدد مغطيا كل جبالها وسهولها في الجليل والمثلث والنقب وفي الضفة والقطاع. وصعدت روح ابي جهاد محاطة بارواح سبعة عشر شهيدا اصروا على مواكبة روحه الطاهرة وهي تصعد الى بارئها.

" وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ "

سورة آل عمران

صدق الله العظيم

ثورة حتى النصر ثورة حتى النصر

وطبقت الدروس المستفادة من تجارب مكلفة، استنزفت من الدماء والعرق الكثير الكثير، وهاهي الخطة الاعتراضية لخطة التصفية الامبريالية التي ارتفع شعارها عام ١٩٧٤ شعار اقامة السلطة الوطنية، تشق طريق تنفيذها على الارض. ولان ما اخذ بالقوة لايسترد بغير القوة، فقد كان لابد لانجاز هذه المرحلة وتحقيق اقامة سلطة الشعب الفلسطيني، ان يتم تدمير سلطة القمع الصهيوني. ولتطبيق قانون الانتفاضة كان لابد من شطب قانون الاحتلال.

ومن المنطقي ان تبدأ الخطوات المتتالية المنتظمة في اطار خطة شاملة متطورة مع الاحداث والانجازات، ترفض حرق المراحل والقفز عن الحقائق الموضوعية، وانما تفرض تراكم الوقائع الفلسطينية على الارض وتطرد وقائع الاحتلال. ولبناء السلطة الشعبية كان لابد من تفكيك سلطة الادارة الاحتلالية وذلك بتوجيه الضربات المتتالية لمؤسساتها عبر المقاطعة من قبل جماهير الشعب الفلسطيني، واستقالة العاملين في الشرطة والجمارك والضرائب واللجان البلدية والقروية المعينة وغيرها.

كما تم الحض على التمرد الاقتصادي عبر الضربات الجزئية والشاملة والامتناع عن العمل في المؤسسات الاقتصادية في ايام الاضراب الشامل، ورفض العمل قطعيا في المستوطنات، ومقاطعة البضائع والمنتجات الصهيونية، والامتناع عن دفع الضرائب.

وجاءت اول نتائج الانتفاضة باعلان الاردن في اواخر تموز ١٩٨٨ عن فك ارتباطه بالضفة الغربية.. مما جعلها تتحدد في اطار مفهوم القانون الدولي كارض فلسطينية محتلة. وأدى هذا التطور الى التعامل مع قراري مجلس الامن ٢٤٢، ٣٣٨ باعتبارهما يتعلقان بانسحاب الكيان الصهيوني من الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ الى جانب الاراضي العربية المحتلة في الجولان.

وفي مطلع شهر آب ١٩٨٨ تحقق الانتصار العراقي في الحرب العراقية الايرانية. ولان الموقف العراقي المساند للثورة الفلسطينية والداعم للانتفاضة كان واضحا للعيان ومعلنًا للملأ. فقد بدأت الدوائر الامبريالية تخطط لاحتواء العراق وطاقاته العسكرية بعيدا عن معركة المواجهة مع العدو الصهيوني. وتلخص الموقف السياسي الامريكي تجاه الشرق الاوسط في التقرير الذي اعدته اللجنة الرئاسية تحت عنوان «البناء من اجل السلام»، والذي انطلق من ارضية شرخ الشعب الفلسطيني بين الداخل والخارج، واعتبار الداخل هم الفلسطينيون الذين انتفضوا، ومعهم يكون التفاهم الاسرائيلي لحل المشكلة الفلسطينية على اساس اتفاقيات كامب ديفيد. اما فلسطينيو الخارج فهم لاجئون عرب تحل مشكلتهم في البلدان العربية..

اما بالنسبة للعراق فقد تطلع التقرير الى احتوائه عبر تحالف ضمني يضم العراق والسعودية والكيان الصهيوني. حيث يشكل هذا التحالف، لو تحقق، خدمة لمصالح الامبريالية الامريكية وسيطرتها المطلقة على النفط العالمي.

وقد تصدى الشعب الفلسطيني في كل اماكن تواجده للمخطط التقسيمي التصفوي. وجاء رد الانتفاضة الجبارة. وشعارها النضالي.. دحر الاحتلال والحرية والاستقلال الوطني..

وجاء تجاوب المنظمة مع شعار الانتفاضة باعلان الاستقلال لدولة فلسطين في دورة المجلس الوطني التاسعة عشرة المنعقد في الجزائر بتاريخ ١٩٨٨.١١.١٥.

كانت بوادر التفكك في المنظومة الاشتراكية بعد هزيمة الاتحاد السوفيتي في الحرب الباردة قد بدأت تعطي نتائج سلبية. وكان اخطر هذه النتائج ذلك التهجير المكثف ليهود الاتحاد السوفيتي واوروبا الشرقية الى فلسطين المحتلة. وقد اتسع نطاق هذه الهجرة واتسع معه نطاق اغتصاب الاراضي في الضفة الغربية وقطاع غزة وانشاء المستوطنات الصهيونية عليها.

وترافق تصاعد الهجرة مع التهديدات الصهيونية للعراق الذي بدأ يطور قدراته العسكرية بما يخدم المعركة القومية ضد العدو الصهيوني. وكانت دعوة العراق للامة العربية بالوقوف صفا واحدا في مواجهة العدو الصهيوني الذي لا ينتصر على العرب نتيجة قوته، وانما نتيجة ضعف العرب الناتج عن تفرقهم..

وفي ايار عام ١٩٩٠ اجتمع مؤتمر القمة العربي في بغداد تحت شعار مقاومة الهجرة الصهيونية ودعم العراق في مواجهة التهديدات الاسرائيلية. ولم يكن ذلك المؤتمر في حقيقته توحيديا، بقدر ما كان تجسيداً لانقسام خطير، لعبت فيه الولايات المتحدة دور السكين المسموم، فقسمت العرب الى عربين كما بدا واضحا للعيان ابأن ازمة الخليج وقضية الكويت.

وكان الموقف الفلسطيني في تلك الازمة منسجما مع

الوقفة الضميرية التي عبر عنها شعبنا في الارض المحتلة، والذي رفض العدوان الامريكي ضد العراق، وطالب بحل المشكلة عربيا في اطار القمة العربية والجامعة العربية. ولكن المخطط العدواني الامبريالي الصهيوني الذي تناغم في اطار هدفين اساسيين، الاول، سيطرة امريكا المطلقة على نفط الخليج بعيدا عن طموحات العراق في توظيف بترول العرب لمصلحة العرب. والثاني ضرب القدرة العسكرية للعراق باعتبارها الخطر القومي الوحيد الذي يهدد وجود الكيان الصهيوني.

وجاءت نتيجة حرب الخليج، ليس كما أراد العراق، وان كان قد ابدى صمودا وبطولة في مواجهة عدوان ثلاثي، يضم الدول العظمى ومصحوبا بانحياز الاتحاد السوفيتي.

ولم تكن النتيجة، كما أراد بوش ايضا، القضاء على النظام في العراق.. ولكنه استطاع ان ينتزع من الامم المتحدة القرارات التي يريدها وان يتعامل بازدواجية واضحة مع قرارات الامم المتحدة، مما جعله يعلن بكل ثقة ان نظاما عالميًا جديدا، ينبثق من رماد حرب الخليج.

وكانت اول مؤامرات هذا النظام العالمي الجديد الذي كان بوش يحلم بانشائه هو العمل على معاقبة العراق... وتصفية منظمة التحرير الفلسطينية بما يعنيه ذلك من تصفية للطموح الاستقلالي للشعب الفلسطيني، والغاء كيانيته وهويته الوطنية وحل المشكلة على اساس اتفاقيات كامب ديفيد، ومشروع الحكم الذاتي الخاضع للكيان الصهيوني، والذي يكرس شرعية الاحتلال بالموافقة الفلسطينية.

وقد ظهرت خيوط المؤامرة وركائزها واضحة عبر التخطيط لمؤتمر مدريد. وهو ما تسميه امريكا مؤتمر السلام، والذي ابتدأ التخطيط له بخطاب بوش في ٦ آذار ١٩٩١ بعد حرب الخليج، والذي اعتبر مبادرة للسلام. وتبع ذلك جولات مكوكية قام بها وزير خارجيته بيكر من اجل ترتيب المخطط الاخطر ضد الامة العربية.

وتمخضت جولات بيكر عن وضع اسس لمؤتمر مدريد، تنطلق اساسا من انه لا يوجد احد في المنطقة يستطيع ان يقول لا.. للسيد الامريكي.. هذا اولا.

وان الدول التي وقفت في مجموعة الحل العربي عليها ان تغير موقفها والا فانها ستعاقب، وهذا ثانيا. وان دور الاردن الهام في عملية السلام الامريكي يبرر معاملته بما يخدم مصلحة المخطط.. خاصة اذا استطاع ان يشكل مظلة للوفد الفلسطيني، يتم من خلالها ابعاد منظمة التحرير الفلسطينية عن المشاركة مباشرة في عملية السلام وهذا ثالثا.

اما رابعا، وهو ما يتعلق بمنظمة التحرير الفلسطينية.. فالمخطط يعتبر تصفيتها ضرورة لمسيرة السلام، حيث انها تمثل الهوية الوطنية المستقلة للشعب الفلسطيني، والتي تعني مشاركتها الاعتراف باهدافها في الحرية والاستقلال الوطني والدولة المستقلة. وهو الامر الذي يحول دون مشاركة الكيان الصهيوني في العملية.

اما العراق فله مخططه الخاص خارج موضوع مسيرة التسوية.

يقوم المخطط المؤامرة على اربعة ركائز اساسية اعتمدتها ادارة بوش. وهي تنسجم مع المخطط الذي وضعته مجموعة الصهاينة في تقرير «البناء من اجل السلام» "Building for Peace"، ويهدف المخطط الى تحقيق الاذعان العربي الشامل للعصر الصهيوني ولتحقيق «اسرائيل الكبرى».

تقوم الركيز الاولى على اعادة الاعتبار للحركة الصهيونية باعتبارها حركة التحرر الوطني للشعب اليهودي. وبهذه الركيزة تحقق الحركة الصهيونية شرعية عدوانها الغاشم على الامة العربية من جهة، وتدين التصدي والنضال العربي الذي واجهها وتصدى لها من جهة اخرى. كانت العقبة في وجه امريكا تتمثل بقرار الجمعية العامة للامم المتحدة الصادر في العاشر من نوفمبر ١٩٧٥. والذي يدين الصهيونية باعتبارها شكلا من اشكال العنصرية. وقد بذلت امريكا جهدا كبيرا في تجميع الاصوات من الجمعية، لكي تلغي قرار ادانة الصهيونية من جهة، ثم ترد لها الاعتبار بوصفها حركة التحرر الوطني للشعب اليهودي من جهة اخرى. وعلى الرغم من كل الجهد الذي بذلته امريكا وحلفاء حفر الباطن لتحقيق هذا الهدف، فقد عجزت امريكا عن تجميع الاصوات اللازمة لاعتبار الصهيونية حركة التحرر الوطني للشعب اليهودي، حيث لم توافق مع امريكا على مشروع القرار سوى ٧٦ دولة وهذا العدد لا يكفي لاصدار القرار. فاكتفت مرحليا بالاصوات التي جمعتها لالغاء القرار السابق للجمعية العامة الذي يدين الصهيونية، حيث استطاعت ان تحشد لمشروع هذا القرار «١١٠» صوتاً. وقد ساهمت دول عربية ودول اسلامية في

التواطؤ مع السياسة الامريكية، على الرغم من القرار الذي اتخذ في المؤتمر الاسلامي في داكار، بادانة التحركات لتبرئة الصهيونية، وبالتأكيد على قرار الجمعية العامة بادانتها.

أما الركيزة الثانية.. وهي النقيض للاولى فهي تحقيق ادانة منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها حركة ارهابية، وذلك في مقدمة لطردها من الامم المتحدة كعضو مراقب، وتصفية وجودها السياسي والدبلوماسي ومطاردة اعضائها وقياداتها.. تحت طائلة القانون الدولي للنظام العالمي الجديد.

هذه الركيزة التي يشكل انجازها اهم واخطر اهداف الصهاينة والامبرياليين، لانها تهدم السد المنيع والعقبة الكأداء، التي تقف في وجه المخططات الصهيونية الامبريالية التوسعية. ولابد لنا أن نتذكر كل الخطوات السابقة والراهنة التي خطتها الولايات المتحدة تجاه تحقيق هذا الهدف منذ صدور التقرير الصهيوني الامبريالي «البناء من اجل السلام». لقد اقامت الولايات المتحدة حوارا شكليا مع المنظمة، بعد ان انتزعت الشروط التي وضعها الصهيوني كيسنجر لسد الطريق امام اي دور سياسي مستقبلي للمنظمة. ثم جاء قطع الادارة الامريكية للحوار الشكلي تحت شعار عدم تخلي المنظمة عن الارهاب، وعدم ادانتها لعملية الشاطىء البطولية التي قامت بها جبهة التحرير الفلسطينية. هنا يكمن جوهر النظرة الامريكية.. المنظمة تساوي الارهاب.. وجاءت مؤامرة حفر الباطن.. ووقفت المنظمة حيث يجب ان تقف في وجه الغزو الامبريالي الصهيوني للامة العربية.. فاكد الامريكان تصنيفها بانها مع العدوان.. ولهذا جاءت خطة ما يسمى بالسلام.. دون اشارة لاي دور للمنظمة.. صحيح ان الامريكان يدركون جيدا الدور الحقيقي للمنظمة.. ويرسلون رسائل تطمينية.. ولكن رسائلهم التطمينية للصهاينة الاسرائيليين، وممارساتهم العملية تؤكد انهم لا يزالون مستمرين في مخططهم الهادف الى تحقيق ركيزة ادانة المنظمة بالارهاب كمقدمة لتصفيتها.

وقد جاءت لحظة المحك الحقيقي عند الدعوة للمؤتمر المتعدد الاطراف، الذي هو الشكل الذي كانت المنظمة والاتحاد السوفياتي ينادیان به باعتباره الاساس الذي منه تنطلق المفاوضات الثنائية. وان المنظمة يجب ان تكون طرفا اساسيا على قدم المساواة مع الاطراف الاخرى.

ولكن المنظمة كانت مستثناة من الدعوة.. وعلى الرغم من انعقاد المؤتمر في موسكو، فان روسيا التي ورثت الاتحاد السوفياتي في المشاركة كراعي ثان لعملية السلام، لم تدفع باتجاه حضور المنظمة كطرف اساسي، مما يوحي ان خط التصفية للمنظمة، قد يتجاوز الدوائر الامبريالية والصهيونية.

ومن يدقق في رسالة الدعوة الى مؤتمر مدريد ورسائل التطمينات، التي ارسلت الى الاطراف المدعوة الى المؤتمر، يلاحظ بوضوح مخطط الابعاد للمنظمة تمهيدا لتصفية وجودها.

لقد فرضت شروط مؤتمر مدريد على الامة العربية بأسرها، وليس على الشعب الفلسطيني فقط، وبنفس درجة الاجحاف الذي يفرض فيه مجلس الامن قراراته الظالمة ضد شعب العراق الصامد الشجاع.

وحيث ان المنظمة تشكل الهوية الوطنية المستقلة للشعب الفلسطيني، النقيض التاريخي والشرعي للوجود الصهيوني على ارض فلسطين، فان تصفية المنظمة هي تصفية لما تمثله من معنى لاستقلال وطني، على طريق ازالة الكيان الصهيوني، تمهيداً لتحقيق الوحدة العربية الشاملة. وحين يصر الكيان الصهيوني على استبدال المنظمة ومشروعها الوطني بمشروع الحكم الذاتي، انما يهدف الى تدمير السد الذي يحول بينه وبين السيطرة على الامة العربية وفرض العصر الصهيوني عليها.

اما الركيزة الثالثة.. وهي ما تحاول امريكا تحقيقها عبر المفاوضات المتعددة الاطراف، فهي تحقيق تطبيع العلاقات بين الكيان الصهيوني والانظمة العربية جميعها. بما فيها البعيدة عن ساحة الصراع، سواء دول الخليج او دول المغرب العربي. ونلاحظ في المرحلة الراهنة الحملة الشرسة، التي تقودها الولايات المتحدة ضد المقاطعة العربية للكيان الصهيوني وتصويرها وكأنها جريمة العصر.

وتحاول امريكا في مخططها التصفوي انتزاع الموافقة العربية الرسمية على استبعاد منظمة التحرير الفلسطينية من عملية السلام، والتصرف على اساس انها غير موجودة ولا تمثل الشعب الفلسطيني. وتدفع امريكا باتجاه اهداف التطبيع في ظل تغييب المنظمة، ليكون الموقف العربي ليس فقط اعترافا بالصهيونية كحركة تحرر وطني للشعب اليهودي، وانما استنكارا للموقف النضالي والجهادي لمنظمة التحرير الفلسطينية وادانة لفكرة وجودها.

اما الركيزة الرابعة .. فانها تتلخص بأن يقوم الكيان الصهيوني ، ومن منطلق دوره في تكريس التجزئة في الوطن العربي ، بتكريس علاقات ثنائية مع الاقطار العربية ، تقوم على اساس الامن المشترك بين الكيان الصهيوني من جهة ، وكل نظام عربي على حدة ، من جهة اخرى . ويتكرس مفهوم الامن الاقليمي على حساب الامن القومي ، وبهذا يتكرس الكيان الصهيوني سيدا وحاكما للمنطقة ، ويصبح مخطط امريكا و«اسرائيل الكبرى» حقيقة واقعة . ويعتمد المخطط الصهيوني الامبريالي لتحقيق هذا الهدف عبر مسارات المفاوضات الثنائية ، وخطط تكريس المصالح الاقليمية لكل طرف عربي ، والخوض في تفاصيل جزئية لطبيعة العلاقات المستقبلية بين الكيان الصهيوني والقطر العربي المعني ، دون اعتبار لطبيعة العلاقات والمصالح المشتركة بين الاطراف العربية .

ولقد خاضت حركتنا معركة المواجهة مع المخطط الامبريالي الصهيوني للحفاظ على منظمة التحرير الفلسطينية . وشكلت درعا صلبا لحمايتها في الوقت الذي اطلقت طاقاتها الجبارة لتقطيع كل خيوط العزلة التي حاولت القوى المعادية فرضها على المنظمة لتصفيتها ..

لقد استطاع التعنت الصهيوني والتعسف الامريكي ان يفرضا شروط انعقاد مؤتمر مدريد تحت شعار السلام ارتكازا على قبضة الهيمنة الامريكية ، التي اصبحت بعد حرب الخليج مطلقة اليد . وعلى الرغم من تظاهر امريكا بالضغط على الكيان الصهيوني في مسألة ضمانات القروض لمواجهة متطلبات الهجرة اليهودية ، الا ان الصهاينة استطاعوا ان يفرضوا معظم شروطهم وان يطمسوا معظم الاسس والثوابت الفلسطينية . فالمشاركة المباشرة لمنظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الممثل الشرعي والوحيد ، تحولت الى شكل من الاشراف غير المباشر . كما ان تشكيلة الوفد من الخارج والداخل بما فيها القدس ، وقضية القدس ، وضرورة وجودها موضوعا وتمثيلا منع تحقيقها . وقد جاء خطاب الرئيس بوش خاليا من التزاماته السابقة في ٦ اذار الماضي والذي ركز على مبدأ الارض مقابل السلام والحقوق السياسية للفلسطينيين ، مستبدلا ذلك بعبارة فضفاضة تتحدث عن (منح الشعب الفلسطيني سيطرة ذات معنى على حياته ومصيره ويوفر قبولا باسرائيل وتحقيق امن لها) . في الوقت الذي شدد فيه على ان هدف المؤتمر (ليس مجرد انهاء حالة الحرب في الشرق الاوسط واحلال حالة عدم الحرب مكانها ، فهذا لا يكفي . وهذا لن يستمر . بل اننا نسعى الى السلام ، السلام الحقيقي . واعني بالسلام الحقيقي معاهدات . وامنا وعلاقات دبلوماسية وعلاقات اقتصادية ، تجارة واستثمارات ، تبادلا ثقافيا وحتى سياحة) . وهذه كلها تطلعات صهيونية على حساب الامة العربية .

لقد فرض على الثورة الفلسطينية عبر مراحل نضالها الشاق المرير الكثير من المواقف الصعبة والصمود في الممرات الموحشة والعبور الاجباري في ممرات المجازفة التي تتطلبها طبيعة موازين القوى . والذهاب الى مؤتمر مدريد او ما يسمى مؤتمر السلام كان ممرا اجباريا فرض على منظمة التحرير الفلسطينية وعلى الشعب الفلسطيني تماما كما فرض على الثورة الفلسطينية الخروج عسكريا من بيروت عام ١٩٨٢ ومن طرابلس عام ١٩٨٣ بالسفن الى المنافي بهدف تصفية القضية الفلسطينية وطمس الهوية النضالية للشعب الفلسطيني .. ولكن .. هل استطاعت المؤامرة ان تحقق اهدافها ؟.. هل استطاع الذين فرضوا الممر الاجباري على الثورة ان ينبحوها على ركبة المنافي ؟

حتما لا . لقد ثبت انه في الممرات الصعبة يتوهج الابداع الفلسطيني القادر على اجتراح المعجزات وفرض الحقائق الفلسطينية ، حقائق الرقم الصعب .

ليس هناك من فلسطيني يستطيع الادعاء انه ذهب الى مؤتمر مدريد حسب شروطه وبكامل ارادته الثورية او تطبيقا للاسس التي اقرها المجلس الوطني الفلسطيني في دورته العشرين ، او الاسس بحدها الادنى الذي اقرها المجلس المركزي في دورته الاخيرة وخاصة ما يتعلق بوقف الاستيطان . ان المجازفة الدبلوماسية التي تخوضها منظمة التحرير الفلسطينية في العبور في الممر الاجباري في اطار الخطة الاعتراضية لمنع التصفية ، وقرارها القاضي بتقليل الخسائر يتطلب موقفا واضحا وصريحا وصادقا عما يجري على ارض الواقع .

لا يختلف اثنان على شرعية حق الاختلاف حول ما يسمى مؤتمر السلام . فأكثر المتحمسين له اصيبوا بخيبة أمل من التعنت الصهيوني والتعسف الامريكي . ولكن اولئك الذين صوروا الذهاب الى مؤتمر مدريد بالمواصفات الراهنة انتصارا ،

انما يكذبون على انفسهم ويخدعون شعبهم . ولو قالوا بانه ضرورة حتمية اعتقدوها نتيجة ما فرضته موازين القوى الراهنة بعد جريمة حفر الباطن وبهدف تقليل الخسائر لكانوا اقرب الى الصواب .

والذين صوروا الذهاب الى مؤتمر مدريد بالمواصفات الراهنة انتحارا هم اقرب الى الحقيقة اذا ما كانوا هم انفسهم أداة هذا الانتحار ، واداة تكريس الخسائر ، والمزيد من الخسائر واخطرها خطر انهيار سقف الوحدة الوطنية الفلسطينية ، وحدة الصف الفلسطيني في مواجهة مؤامرة التصفية .

اما اصوات من نوع تلك التي تصدر عن «ملالي» ايران تحت شعارات اسلامية تذكرنا بايران جيت ، وبالطعنة الغادرة التي وجهت الى الشعب العراقي وجيشه البطل وهو يخوض معركة المواجهة مع ما يسمونه الشيطان الاكبر .. فانها اصوات ليست في مجال ابداء رأينا في هذه المرحلة ..

ان الخطر الداهم الذي يواجه شعبنا في الارض المحتلة هو الاستيطان الزاحف المدعم بسيل الهجرة اليهودية . واذا كانت حتى الولايات المتحدة تعتبر الاستيطان عقبة في طريق السلام ، فان اول واجبات خطوات السلام يجب ان تبدأ بوقف الاستيطان . وسواء كان الفلسطيني معارضا لانعقاد مؤتمر مدريد او موافقا عليه ، فان كل الفلسطينيين يجمعهم موقف واحد ، وهو رفضهم للاستيطان ولاستمراره . وهم بذلك جميعهم مطالبون بالوقوف وبشراسة في وجه هذا الخطر الداهم . ان وحدة الصف التي يتطلبها موقف الدفاع عن النفس وعن الارض وعن القضية هي التي كانت شعار جميع ابناء حركتنا وابناء شعبنا في الارض المحتلة وخارجها .

ان تجارب الاقتتال الفلسطيني الفلسطيني السابقة ، والتي كانت تجربة طرابلس من اسوأها ، كانت تجد لها طرفا عربيا يمكن تحميله مسؤولية تعميق الخلاف . اما الان وكل الاطراف العربية المعنية منخرطة في عملية التسوية ، فان مسؤولية الاقتتال الفلسطيني ستسجل تاريخيا ضد شعبنا الذي يعترف له كل العالم بانه الشعب الذي استطاع فرض الديمقراطية في غابة البنادق .

وهنا يجب الاشارة الى ان الطرف الوحيد القادر على تغذية وتسعير وتصعيد الشقاق الفلسطيني هو العدو الصهيوني نفسه . وما ظاهرة الصهاينة الملثمين ببعيدة عن الاذهان . وهنا يصبح شعار (وحدة الصف .. للدفاع) عن الذات معبرا عن طريق المواجهة الصحيحة . وذلك عبر صب كل الامكانيات القتالية والعسكرية ضد المستوطنات والمستوطنين والتجمعات العسكرية ، بحيث يكون تصعيد الانتفاضة وتصعيد الكفاح المسلح هو التعبير لكل فلسطيني عن قناعته بالدفاع عن نفسه وعن حقوقه .

واذا كان الاستيطان الزاحف يشكل خطرا يتطلب الدفاع ووحدة الصف . فان جيش الاحتلال الصهيوني ، ووجوده الغاشم على ارضنا هو الهدف الذي يجب ان يتوجه اليه الهجوم المكثف والموحد .. من كل ابناء شعبنا وحركتنا وثورتنا . فالذين يعتقدون ان مؤتمر مدريد يمكن ان يحقق انجازا لصالح الشعب الفلسطيني مطالبون بدعم موقف المفاوض الفلسطيني على الارض برفضهم للاحتلال وتصعيدهم للكفاح المسلح والانتفاضة الباسلة . وكذلك الذين يعتقدون ان المؤتمر يمكن ان يؤدي الى تصفية القضية الفلسطينية فانهم مطالبون بحماية هذه القضية بتصعيد نضالهم المسلح والمكثف ضد الاحتلال الصهيوني وليكن شعارهم هو جعل حياة الصهاينة المحتلين كابوسا . وتوجيه كل قدراتهم الرافضة لتكون نقمة على الاحتلال والمحتلين ، فكان شعارنا الثاني (وحدة الهدف .. للهجوم) معبرا عنه بتصعيد هجومنا على الاحتلال والمحتلين .

ان المجازفة الدبلوماسية التي تخوضها منظمة التحرير الفلسطينية بتوجيهها غير المباشر للوفد الفلسطيني في مؤتمر مدريد ترتكز على الموقف العربي الموحد لتعزيز قدرتها على تقليل الخسائر وضمان الخروج سالمة من التجربة ، او العمل على تطويرها مستقبلا بالتكامل الضروري مع تصعيد الكفاح المسلح والانتفاضة الباسلة . لقد حققت اللقاءات العربية أحد الاسس التي اقرها المجلس الوطني ، كضرورة للمطالبة بالشرعية العربية التي اقرتها قرارات القمة العربية ، بما يضمن تحقيق الحل الشامل واستبعاد الحلول المنفردة وصفقات كامب ديفيد ، الجديدة التي قد تترك الشعب الفلسطيني وحيدا في حلبة المواجهة مع العدو الصهيوني . ان ترابط المصالح القومية العربية تقتضي عودة التلاحم الفلسطيني مع كل الاطراف العربية ، بحيث تصبح قضية القدس وقضية الانسحاب من جميع الاراضي العربية المحتلة وتحقيق الاهداف الوطنية للشعب الفلسطيني ، وفي مقدمتها حق العودة

وتقرير المصير واقامة دولته الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف هي محور التلاحم العربي. وسواء استمر مؤتمر مدريد أو انفرط عقده، فان هذا الموقف الفلسطيني الذي تعبر عنه منظمة التحرير الفلسطينية هو أهم ثوابت حركتنا فتح. وعلينا للمحافظة على مسيرتنا النضالية ان لاتكون المجازفة الدبلوماسية على حساب مبادئنا وثوابتنا. واذا كانت الدبلوماسية تتحمل المجازفة، فان المبادىء الراسخة لاتتحملها. وعليه فان الاهداف الاستراتيجية لحركتنا يجب ان لا تهتز نتيجة الاوضاع الراهنة. فالمستقبل ليس حالة استاتيكية.

ونحن مطالبون باحداث التغييرات التي تضمن تغيير موزاين القوى لصالح حركتنا وثورتنا ومنظمتنا وشعبنا وأمتنا، ونحن بأعتبارنا طليعة الامة العربية في معركة تحرير فلسطين، أكثر الاطراف المعنية في تحقيق الظروف الاكثر مناسبة لتحقيق الانجازات. وعلى ابناء حركتنا في كل أماكن تواجدهم أن يتعاملوا مع الواقع الراهن بأعتباره أحد نتائج الزلازل المتتالية التي أصابت جبهتنا العالمية والعربية والفلسطينية. فالانهيار السوفيتي ونهاية الحرب الباردة لصالح امريكا وما تبع ذلك من نتائج حرب الخليج وما عاناه شعبنا تحت الاحتلال في مواجهة الاستيطان الزاحف. كل هذا يتطلب منا الاستعداد لمواجهات قد تكون أكثر صعوبة، ولكن علينا عدم التسليم تحت كل الظروف بمقومات وجودنا ووجود حركتنا التي انطلقت في ظروف أكثر صعوبة، وهي قادرة على تجاوز كل العقبات ما دام ابناؤها في حالة تلاحم وتمسك بعهد الشهداء، عهد الوفاء، عهد الاستمرار بالثورة حتى النصر.

ان المحك الرئيسي الذي ستواجهه الارادة العربية هو صمودها في موقف رفض الاستفراد الصهيوني بأي طرف من أطراف الصراع. وقد فصلت أمريكا سيناريو مؤتمر ما تسميه بالسلام على أساس المسارين، بحيث يمكن تحقيق حالات الاستفراد التي تحاول جعل الدول العربية تبحث كل واحدة منها على حدة عن تحقيق أمنها الاقليمي على حساب الامن القومي. وقد حاول بوش في خطابه في مؤتمر مدريد التقليل من أهمية خطورة بحث القضايا الاقليمية المتعددة الجوانب، مثل ضبط التسلح والمياه ومشاكل اللاجئين والتنمية الاقتصادية. ان بحث هذه القضايا قبل انجاز وضمان تحقيق الانسحاب الصهيوني من الاراضي الفلسطينية والعربية المحتلة هو تكريس لتفوق الكيان الصهيوني على العرب مجتمعين. وهو ما سيجعل قضية الشعب الفلسطيني خارج الارض المحتلة قضية لاجئين على الدول العربية استيعابهم مقابل استيعاب الكيان الصهيوني للمزيد من المهاجرين اليهود. ومن هنا تأتي أهمية المزيد من التنسيق والتلاحم العربي وضرورة التمسك الجماعي بالثوابت الفلسطينية والعربية. كما ان الضرورة تقتضي توسيع دائرة الاهتمام بالتصدي لمحاولات التصفية التي تتدرج في الانجرار نحو الاشراك الخداعية التي تنصبها الصهيونية العالمية بمساندة أمريكا. ويأتي هذا التوسيع عبر تطوير العلاقات الفلسطينية العربية واعادة تمتينها مع جميع القوى والفعاليات القادرة على تحقيق الدعم لشعبنا في الارض المحتلة، ولقضيتنا النضالية في معاركها، المتعددة الاوجه. كما ان الساحة الاسلامية المناضلة، التي تنادي بتحرير فلسطين انطلاقا من روح الاسلام السمحة والمؤمنة والبعيدة عن الصفقات السرية مع الامريكان والصهاينة، هذه الساحة على امتداد العالم تشكل مصدر قوة حقيقية للثورة الفلسطينية، وهي تلتقي مع حركتنا في التمسك بروح الجهاد والتضحية بالنفس والنفيس في سبيل فلسطين وفي سبيل قدس الاقداس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، مسرى النبي محمد عليه الصلاة والسلام ومهبط المسيح عليه السلام، وعاصمة دولة فلسطين الحرة المستقلة باذنه تعالى.

لقد صمدت حركتنا وثورتنا ومنظمتنا في وجه مؤتمر مدريد ومخططات بيكر - شامير. وهي على وشك ان تدخل مرحلة جديدة مع ادارة امريكية جديدة. وكنا نعتقد ان صدمة لا بد ان توجه للادارة الامريكية بعدم المشاركة الفلسطينية في الجولة الثامنة، تحت شعار طلب تأجيل الدورة الى ما بعد استلام ادارة كلينتون المسؤوليات في البيت الابيض. كما اشرنا الى ضرورة العمل على عقد مؤتمر مدريد من جديد، بهدف تجاوز الشروط المجحفة الموروثة عن مخلفات شامير - بيكر. والعمل على وضع شروط تؤكد الدور الواضح المباشر لمنظمة التحرير الفلسطينية ومشاركتها في مسيرة التسوية، بحيث يعاد النظر في تشكيل الوفد، ليمثل جميع شعبنا في الخارج والداخل بما فيها القدس. ان وضع الامور في نصابها يقتضي الدفع باتجاه ان يتحول مؤتمر مدريد الى مؤتمر دولي بالمواصفات التي حددتها قرارات مجلسنا الوطني، الذي تلعب

فيها الامم المتحدة دورا هاما، باعتبار ان الاساس، الذي يقوم عليه المؤتمر الدولي، هو قرارات الشرعية الدولية. صحيح ان امريكا لا تزال تهيمن على قرارات الامم المتحدة بشكل او بآخر. ولكن توسيع مجالات المشاركة من دول مجلس الامن دائمة العضوية. وفي مرحلة يتشكل فيها النظام العالمي الجديد، سيكون للامم المتحدة دورها المباشر في صياغة شكل النظام العالمي الامني الجديد. وهو ما يتطلب توازنا دوليا بين النظام العالمي الاقتصادي الجديد، الذي تلعب فيه منطقتنا دورا هاما بحكم موقعها وما تحتويه ارضها من مادة حيوية، هي النفط الذي يشكل عصب الحياة الاقتصادية في هذا العصر.

لقد استطاعت المنظمة ان تجتاز أخطر المنعطفات في الممر الاجباري الموحش. واستطاعت بقرارها الاخير بعدم المشاركة في الجولة الثامنة بوفدها المتكامل من ان تحدث بعض الصدمة حيث كان تقليص الوفد يعطي مدلول اللقاء غير الرسمي، كما افشلت المنظمة محاولات رابين وكسرت اسافينه الخبيثة التي حاول بها افتعال الشقاق الفلسطيني العربي والفلسطيني الفلسطيني.

ولقد بلغت ذروته اسافين رابين، يوم دفع باتجاه الاقتتال بين حركتنا وحركة حماس في قطاع غزة. وقد اطلقنا شعار «الوحدة» وتركنا ضمير الجماهير حكما ونحن نتوجه بكل طاقاتنا ضد العدو الصهيوني. وقد نجحت ارادة حركتنا في تقليل الخسائر ودفع الجميع للمواجهة مع العدو الصهيوني. وها نحن نشاهد ونحن نعبر العام السادس للانتفاضة كيف أصبحت حماس في موقع الصدام مع العدو الصهيوني بشكل يساهم في استراتيجيتنا الثورية والانتفاضية.. وهذا الموقف الجهادي من حماس هو ما يجب ان نعمل على استثماره للمزيد من التلاحم القاعدي بين ابناء فتح وأبناء كل فصيل فلسطيني، مقاتل ومجابه ضد عدونا الصهيوني.

لقد فقد رابين اعصابه وهو يرى سحره ينقلب عليه. فوقع في الحفرة التي اراد ان يدفن فيها الوحدة الوطنية عبر الاقتتال الفلسطيني الفلسطيني. فارتكب جريمته بابعاد ٤١٣ مناضلاً فلسطينياً، وهو يعتقد ان هذه الخطوة ستعمق الشرخ داخل الصف الفلسطيني. فانقلب السحر على الساحر وتعمقت اواصر الوحدة.. وانكشف وجه رابين الارهابي البغيض للعالم، الذي يرى كل يوم كيف يصمد المبعدون قسرا من بيوتهم ووطنهم الى اعماق الزمهرير فيستظلون بحرارة الايمان بالله والوطن. ويصرون على الصمود وهم يرددون بخشوع قوله تعالى:

« نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ »

سورة الصف
صدق الله العظيم

ان محصلة المتغيرات الدولية تساعد في تعزيز مواقع منظمة التحرير الفلسطينية في العالم، بما يضمن دورها الفاعل في الساحة الدولية. فمنظمة التحرير الفلسطينية وحركتنا بكل ما تمثله من دور طليعي في النضال الفلسطيني والعربي، في استطاعتهما تعزيز هذا الدور الهام للقضية الفلسطينية. فهذه القضية التي كانت مصدر توتر دائم خلال مراحل الحرب الباردة، يمكن ان تلعب دورا هاما في تحقيق الاستقرار العالمي، في حالة وصول الشعب الفلسطيني الى تحقيق أهدافه المرحلية المطروحة على جدول اعمال الامم المتحدة. وفي الوقت نفسه، فان هذه القضية قادرة بفعل ديناميكية حركتها الفتحوية، ان تشكل الصداع المزمن للاستقرار، وهو ما يتعارض بشكل واضح مع مصالح واهداف الولايات المتحدة. فالشعب الفلسطيني الذي كتب عليه ان يصارع الحركة الصهيونية خلال القرن العشرين بأكمله، لن يسلم الاجيال القادمة من أبناء شعب مكافح مجاهد عظيم، لحظة استسلام تحت شعار الاستقرار والاستكانة للادارة الامريكية، والاذعان للعصر الصهيوني البغيض. ان ارادة شعب فلسطين، ارادة القوم الجبارين، هي التي تقرر درجة الاستقرار في منطقة الشرق الاوسط. وهي القادرة على التصعيد الشامل، بكل انواع التصدي والكفاح، في حال تجاهل الحقوق الثابتة، غير القابلة للتصرف للشعب الفلسطيني. وهي القادرة، ايضا، على التفاعل الكامل مع ارادة شعوب المنطقة، ومع الامة العربية، في فرض حالة السلام الفلسطيني والسلام العربي. سلام القدس، سلام الشجعان، الذين استطاعوا عبر التاريخ، ان يصهروا في حضارة الامة العربية والاسلامية كل العابرين من الغزاة. وان يحافظوا على التراث الانساني العريق لهذه المنطقة، منطقة اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، التي بارك الله حولها، بارك فلسطين كلها، من النهر الى البحر ومن البحر الى النصر.

وانها لثورة حتى النصر

قضايا عربية

جريمة الابعاد.. واقع.. ودلالات.. وابعاد

■ اذا لم تكن جريمة الابعاد، لاكثر من أربعمائة مناضل فلسطيني، تتطلب وقفة ومراجعة لعديد من الافكار والمعطيات وطنيا وقوميا ودوليا، فان النتيجة المترتبة على ذلك، هو ان تضاف هذه الجريمة الى غيرها من جرائم العدو، حيث يراهن وهو لا يخفى ذلك، على الذاكرة الهشة للرأي الدولي، وعلى الضعف والوهن الشديدين في النظام العربي ومحدودية ردوده، هذا اذا كان هناك ردود!!؟. ويضاف هذا المعنى الى خلفيات الحدث وأبعاده ودلالاته التي سنحاول قراءاتها هنا بعين أخرى..

٩١٪ من الاسرائيليين يؤيدون:-

ذكرت صحيفة "يديعوت احرنوت ان استطلاعا للاراء جرى في اسرائيل دل ان ٩١٪ من الاسرائيليين يؤيدون هذا الابعاد بينما عارضه ٨٪ فقط، وواحد في المائة لم يعط موقفه، واضافت الصحيفة قائلة:"هذا الاستطلاع خير دلاله على حقيقة الشارع الاسرائيلي في ظل حكومة تتغنى بالسلام وتطلق النار".

في سرعة قصوى وربما خلال ساعات من بعد عملية الابعاد، قام المعهد الاسرائيلي"داحف" بدراسة لمواقف "الاسرائيليين" من عملية الابعاد.. وكانت المفاجاه بالنتيجة حيث ادلي ٩١٪ من المستجوبين برأي يؤيد اجراء الحكومة الاسرائيلية... ولعل اكثر السعداء بهذه النتيجة هو اسحق رابين الصهيوني المتعجرف والمملوء بهاجس الامن، لان تلك النتيجة القائمة على العنف ضد الفلسطينيين والعرب كانت ولا تزال احدى الاسباب الهامة وراء تفوق ونجاح هذا الحزب أو ذاك، ويبدو انه الدرس الذي حفظه جيدا من تجربة مناحيم بيغن الذي استطاع بالعنف الموجه للخارج العربي، ان يطيح بسلطة حزب العمل التاريخية على مقاليد الحكم، ليتربع الليكود على سدة السلطة طوال مرحلة السنوات الخمسة عشر الاخيرة، فقام رابين بعملية الابعاد، ومن قبل ومن بعد سلسلة اجراءاته العنيفة ضد الانتفاضة، التي يبني بواسطتها جسوره العميقة من التواصل مع الشارع الاسرائيلي ليضمن بقاء سلطته قوية، ولينتزع مخالب المنافسة المحتملة لليكود في المستقبل المنظور على الاقل وخصوصا ان رابين واحد من الجيل القديم "الرواد" الذين يجيدون معرفة المشاعر الحقيقية لطباع الكيان الاسرائيلي التي قامت على العنصرية الاستعمارية واحتلال ارض الغير. كما كشفت هذه النتيجة "الاجماع حول جريمة الابعاد" الواقع الحقيقي للاسرائيليين خصوصا ان البعضفي عالمنا العربي، بشر كثيرا بل اقام بنيان نظريته السلمية، على واقع رغبة الاسرائيليين بالسلام.. ولا ندري ما سيقول هؤلاء أمام حدث بهذا الحجم البشع والمترافق مع اعتقال آلاف المناضلين والقمع والقتل اللذين يمارسا بقلوب باردة من قبل حكومة العدو وجنودها ضد الانتفاضة وجماهيرها؟.

حقا ماذا سيقول هؤلاء امام هذا الشاهد الجديد، لم يردع الحكومة الاسرائيلية وادعاها حول السلم بالمنظور الاسرائيلي، بل كشف تلك الرابطة العميقة بين عنف الشارع الاسرائيلي والعنف الذي تقوده الحكومة أي حكومة بكل قوة؟؟ وها هو رابين يضيف عن نومه الهاني بعد العملية فيقول: "انه ينام بشكل جيد في ساعات الليل وان اسرائيل ليست مدينة بشيء لاية جهة بسبب قرار الابعاد".

حكاية القسمة بين يسار ويمين:

ومن بين أهم التصنيفات التي تطلق في المنطقة العربية على الوضع في الكيان الاسرائيلي تصنيف حمائم وصقور؟؟ يسار ويمين ومتدينين وغير متدينين، وخطورة هذه التصنيفات انها تتجاوز مسألة معرفة الواقع هناك بدقة، الى محاولات أخذ مواقف بناء على هذه التصنيفات مع هذا الطرف أو ذاك على الرغم من ان كل أحداث العنف الكبرى التي وجهها الكيان الاسرائيلي كانت تتمتع دائما بوحدة مثلى بين كل هذه التيارات، وخصوصا اليسار الذي يعرف جيدا كيف يلم أوراقه في الوقت المناسب ويصطف خلف مقولة الاجماع الوطني ضد الخارج؟؟ وان برز غير ذلك الموقف فانه يبرز في

قضايا عربية

حالة واحدة.. حالة عدم قدرة الكيان الاسرائيلي على الحسم السريع أو تقديم خسائر جسيمة كما حصل في حرب تشرين وحرب لبنان عام ١٩٨٢، وفي الموقف ضد الانتفاضة. وهو ما كان في كل الاحوال يعطي نتيجة عظمى للكيان الاسرائيلي في كل مرة، حيث يظهر الكيان كما يحب الغرب أن يراه "ديمقراطيا واحتجاجيا"؟، وحتى هذه الاخيرة يبدو ان حركة "ميرتس" قفزت من فوقها هذه المرة، علها تغنم البقاء في جنة الوزارة، وتقطع لها موقعا جديدا في قلوب الناخب الاسرائيلي، فقام وزرائها (رغم ما بشر به اصدقاؤها بالمنطقة) بالموافقة على موقف اسحق رابين بابعاد ٤١٧ مواطنا فلسطينيا خارج وطنهم ومنازلهم. والسؤال الذي نطرحه هل غيرت ميرتس ثوبها؟ ام ان بعضنا كان لا يريد ان يرى حقيقة هذا الموقف؟ وايضا هل حقا لميرتس رؤية مخالفة وجذرية لرؤيا الدولة حول السلام تتناقض ورؤية رابين، وهل لميرتس موقف مخالف لشكل التعامل الامني مع الانتفاضة؟ واذا كان هناك اختلاف فكيف يعبر عنه وزراء ميرتس؟ ام أن كل مواقفهم يسارا او يمينا محكومة بظروف اخرى هي في الاصل الحفاظ على الارض المحتلة، واعطاء صورة مغايرة للوجه البغيض للاحتلال، حقا لقد كشفت جريمة الابعاد البرقع المزيف عن الوجه الفعلي لميرتس.. ومقولة يسار ويمين في دولة محتلة ولمرددي هذه المقولة أيضا!!؟.

رابين وقناعاته باستمرار عملية السلام:

"قال رابين" كما قالت صحيفة دافار في صدر افتتاحيتها" ليس ثمة رصيد لتهديدات منظمة التحرير الفلسطينية والعرب بوقف محادثات السلام احتجاجا على الابعاد، لكون هذه التهديدات تعكس حالة غضب مؤقتة، وان لكل طرف عربي مشارك بالمفاوضات مصلحة بالاستمرار فيها".

وايضا ما الذي يجعل رابين واثقا كل الوثوق، بان هذه الجريمة التي اقدم عليها، لن تؤد الى وقف عملية السلام، وما هي المعطيات التي بنى عليها موقفه بقوله " ان لكل طرف عربي مصلحة في مواصلة المفاوضة سيحرص عليها"، والادهى ان قرار الدول العربية المشاركة في التفاوض جاء ليؤكد ما ذهب اليه رابين، الذي رحب فعلا بالبيان الصادر عن لقاء وزراء الخارجية في القاهرة أشد الترحاب.. ونحن نقول هل كان رابين واثقا من ميزان القوى المختل الذي أدى لعملية التفاوض ولا زال يفرض ذاته على كل الاطراف العربية للمواصلة ومهما كانت العقبات ومهما مارس الكيان الاسرائيلي؟ ام ان الكيان الاسرائيلي لجا لهذه العملية وهو متيقن ان الولايات المتحدة ستقف معه ضد الموقف العربي وخصوصا أن المندوب الامريكي في الامم المتحدة هدد "بالفيتو" أمام اقتراح لبنان تضمين مسودة القرار الذي كان مطروحا للنقاش، نص المادة السابعة من ميثاق الامم المتحدة، والذي ينص على استخدام القوة لتنفيذ قرارات الامم المتحدة ومجلس الامن؟ أم ان رابين كان يمارس موقفا يريده بعض النظام العربي، بدلالة قيام وزارة الخارجية بتوزيع كتيب بعد عملية الابعاد على سفاراتها في العالم، يتضمن كل المواقف العربية ضد التيارات الاسلامية وخطر "الاصولية"!؟، وتظهر ان الكيان الصهيوني انما قام بعمل ضد نفس الخطر، وضد القوى التي تهدد عملية السلام.. اننا نأمل ان لا تكون مواقف العدو الصهيوني هي ذات المواقف للنظام العربي في هذا المجال، وربما هي المصادفة؟؟ التي أراد استغلالها كاحسن ما يكون؟؟.

وايضا ورغم الضجة الكبيرة من حول العملية الاجرامية، الا ان اشارات الكيان الاسرائيلي، عادت للحديث عن انجازات في العملية السلمية على جبهة سوريا بعد حديث عبد الحليم خدام عن التسوية، التي رأى فيها الكيان الاسرائيلي اشارة جديدة على استمرار العملية السلمية!! وكأن به يبحث عن دفرسوار آخر لشق الموقف العربي أو لالهائه بلعبة اخرى بعيدا عن قضية الابعاد.

أم ان رابين في اختياره للتوقيت اصاب مرة اخرى، ومعتمدا في هذا المجال، على هشاشة ذاكرة النظام العربي، فعملية التفاوض اصلا دخلت في راحة اجبارية حتى شباط القادم وأي موقف يتخذه العرب الآن سيتغير لصالح الاستمرار بالعملية السلمية مع حلول شهر شباط، ولا يسعنا هنا الا القول أنه أجرى دراسة منطقية لهذا التوقيت الذي سيخرج المفاوض العربي من الحرج هذا اذا كان هناك حرج في الموضوع كله نسبة الى الراهن العربي المر!! والخطير في هذا الامر هو التخوف المشروع الناجم عن هذا اليقين الاسرائيلي في هذه المسألة، فهل سنرى السلام اذن بكل معطياته حسب المفهوم الاسرائيلي؟ وهل هذا يفسر معنى التصلب الاسرائيلي في عدم تغييره حتى لفاصلة، خلال جلسات التفاوض التسع السابقة، ليتيقنه أن النظام العربي سيقبل تصوره وكما هو، تماما كما كان متيقنا من ان النظام العربي لن يجرؤ على تجميد أو وقف عملية الابعاد رغم اتخاذها حجم عملية "ترانسفير" كاملة. وايضا خوفنا يزداد من حجم أوسع من هذه العملية اذا كان يقين رابين راسخا من هذا الواقع العربي وقبوله لأي شيء؟؟.

قضايا عربية

جريمة الابعاد وقرار مجلس الامن:-

اذا كان قرار مجلس الامن قد حمل ما هو مهم في بنوده الاولى حيث اشار اشارات واضحة الى الأراضي المحتلة وتكلم عن الاحتلال، وادان عملية الابعاد، الا انه وعند "المحصلة"، لم يشر الى آلية التنفيذ وكيفية تطبيق منطوق نصوصه، بعكس تلك الآلية الواضحة التي حددتها القرارات المماثلة والتي صدرت بحق العراق والصومال!! بينما هنا لاشيء، واضح، الا الطلب من الامين العام للامم المتحدة بطرس بطرس غالي، ان يرسل مندوبا الى المنطقة، لدراسة الوضع، والعودة لتقديم تقريره الى الامين العام.. مرة اخرى نحن امام الثنائية والمعايير المتعددة، ومرة اخرى نحن أمام واقع المنظمة الدولية في عصرها الجديد، عصر النظام الدولي الجديد، حيث لكل مسألة اكثر من معيار ولكل قضية اكثر من مقياس، بحسب الاصطفاف مرة اذا كانت مع امريكا او ضدها، وبحسب العقيدة مرات اخرى كما يحصل في البوسنة والهرسك، حيث القتل والبشاعات بينما الامم المتحدة وقواتها الامريكية الضاربة بغفوة طويلة لا تحرك ساكنا، وهو نفس الموقف كلما تعلق الامر باسرائيل باعتبارها رأس حربة الغرب في المنطقة لتطويعها وللحفاظ على مصالح الغرب عموما والولايات المتحدة على وجه الخصوص، والاغرب في هذه الحالة، ان النظام العربي لايزال يعامل هذه المنظمة الدولية وكأن شيئا لم يتغير، ويلتزم بقراراتها حتى وهي ضده وضد مصالحه بوضوح الشمس. فهل "والاسئلة هنا، للتساؤل فقط؟ هل سينفذ مجلس الامن دعواه بمطالبة" اسرائيل بعودة المبعدين؟ وماذا لو رفضت عودتهم كما أبلغت اسرائيل ذلك الموقف لجيمس جونا مبعوث الامين العام؟ حقا ما هو موقف مجلس الامن؟ وموقف الامين العام للامم المتحدة شخصيا، وما هو موقف النظام العربي بكل اطرافه سواء تلك المشاركة بعملية السلام، أو تلك المشاركة بالعملية من باب المفاوضات المتعددة، او حتى تلك الدول خارج هذين الاطارين؟ أم أن الامر لن يخرج عن المألوف مثل كل القرارات السابقة المتعلقة بقضية فلسطين؟ وما هو رأي الولايات المتحدة صاحبة النظام الدولي الجديد والشرعية الدولية؟ انها اسئلة على الاقل برسم الايام القادمة وموقف الكيان الاسرائيلي؟؟.

جريمة الابعاد.. فلسطينيا:-

اذا كان المثل يقول في بلادنا "رب ضارة نافعة" فاننا جميعا مطالبون لتمثله الآن والانطلاق منه لرؤية الامور والوقائع كما هي في سيرورة الحياة، وان نسير بها الى ما نحب ان تكون عليه.. ان الكيان الاسرائيلي كان دائما واضحا، واضحا في احتلاله لفلسطين، واضحا في عدائه لشعب فلسطين الذي حاول القضاء عليه أو اغفاله وشطبه كما ارادت غولدمائير رئيسة وزرائه السابقة، وهو واضح انه مراوغ لا يؤمن بالسلام!!؟. وان منطقه وسلوكه يحددهما، سلاحه وجيشه واحتلاله، يشيران الى ايمانه العقيدي بالقوة والعنف ليس لانه أساس قيام دولة الاغتصاب فقط، بل لانه الشرط الوحيد لاستمرارها وحرمان شعب فلسطين من وطنه وحقوقه، وابقاء الامة في واقع التجزئة والضعف والاستتباع للغرب.. وأن كان لاغراض دعائية.؟ يبحث في كل مرة عن سبب للعدوان، يستخدمه كمشجب يعلق عليه دعاواه، واغراق المنطقة في رؤية المشجب بعيدا عن الوقائع التي يخلقها العنف والاحتلال.

وبداية الفعل المطلوب تنطلق من تعزيز اطار وحدة القوى والتيارات الوطنية والاسلامية في صف واحد، رغم التباينات والخلافات في القضايا العامة، وما اجتماع القيادة الفلسطينية وقيادة حماس في الاسابيع الماضية في تونس، الا شكلا صحيحا وردا موضوعيا على اجراءات الابعاد والقمع الممارسين من سلطات الاحتلال، وفي هذا الاطار ايضا، فان تجسيد هذا اللقاء بممارسات وافعال عملية على ارض الواقع من خلال الانتفاضة، ومن خلال انماط العمل المشتركة الاخرى يمثل المدخل المناسب والصحيح لتطوير الوحدة المرجوة والوصول بالاداء الوطني الى مستويات ارقى. ان اللقاء بين فتح وحماس، يمثل باستمرار ردا موضوعيا ومطلوبا في هذه الظروف، كما انه قد يشكل سابقة لحلول مشابهة مطلوبة في المنطقة العربية. وفلسطينيا ايضا، يظل فعل الانتفاضة في تصاعده وتصديه للاجراءات القمعية لقوات الاحتلال، مطلوبا الان وأكثر من أي زمن مضى، ليس لارباك العدو فقط، بل للضغط المستمر عليه للرضوخ للهدف الفلسطيني الوطني، علما بأن نتائج عملية الابعاد ادت هذه المرة، لان يشارك اهلنا في الاراضي المحتلة منذ عام ١٩٤٨، دورهم بقوة وحماس في الوقوف الى جانب اهلهم في الضفة والقطاع، وفي رفض وادانة اجراءات العدو بعملية الابعاد للمناضلين الفلسطينيين. ان تطوير الاداء واتخاذه مستويات جماهيرية اعلى، ضاغطة ويومية، سيمثل عملية تراكم نضالي مهم، لن يستطيع اي طرف على الاقل اغفالها، او القفز من فوقها.

وهكذا يمكننا بالعمل، وخلق الحقائق، وادراك الاهداف الحقيقية لكل سلوك لقوات الاحتلال بقيادة حكومة رابين، ان نحافظ على اتجاه عملنا الصحيح اتجاه فلسطين حتى النصر ■

روسيا تبحث عن هويتها ودورها

■ كثيرة هي التساؤلات التي تتزاحم في ذهن أي مراقب للأوضاع الراهنة التي تعيشها جمهورية روسيا الاتحادية، فالواضح أن المشاكل تتفاقم، والصراعات تحتدم. لذا يصعب التكهن بالمسار الذي ستأخذه الأزمة، وقد نفاجأ في أية لحظة بتغييرات دراماتيكية، نظرا للانتقادات التي توجه الى مجمل الأوضاع القائمة. ففيما تطغى الخلافات السياسية على كافة الأوضاع الأخرى، فان العديد من المراقبين يرون في الوضع الاقتصادي المتدهور حالة تنذر بحدوث انفجارات اجتماعية، ما لم تتمكن الحكومة الروسية الجديدة من تجاوز مأزقها الاقتصادي واعادة صياغة أولوياتها للمرحلة القادمة.

ويشير الخبراء المختصون الى أنه قد بدأت مرحلة انهيار الروح المعنوية للشعب الروسي، الذي لم يستطع فهم ما يجري حوله. فلقد انفلت زمام الأمور، وانهارت المثل الاجتماعية، فما كان غير مسموح به في الماضي أصبح سائدا في الحاضر. ونظرا لعدم وجود أيديولوجية بديلة لما كان قبل سقوط وتفكك الاتحاد السوفياتي، فقد وجد الشعب نفسه في فراغ أيديولوجي أفقده الاتزان واختيار اتجاهه. ومن أخطر الظواهر الاجتماعية، خاصة بعد هجوم الأفلام الأمريكية التي تصور الجنس والجرائم والعنف، ظاهرة انتشار المخدرات في المدارس والمعاهد والجامعات، وكذلك انتشار الجريمة، خاصة جرائم السرقة والاغتصاب والعنف. كما يشير المراقبون الى امكانية حدوث انفجارات اجتماعية داخل صفوف القوات المسلحة الروسية لعدة أسباب منها: التغييرات السياسية الخارجية الجامحة (فمن كان بالأمس عدوا اصبح الآن صديقا وبالعكس) والتنازلات العديدة أمام الولايات المتحدة الأمريكية، واستخدام القوات المسلحة خارج نطاق روسيا (في القوقاز وطاجكستان ومولدافيا)، والانسحاب السريع للقوات المسلحة من المانيا وبولونيا وتشيكولوفاكيا وجمهوريات البلطيق دون الاستعداد لايوائهم في روسيا وتوفير الضرورات اللازمة لهم ولأسرهم.

ومن جهة أخرى، فقد أشار د. فيتالي نعومكن (رئيس المعهد الروسي للدراسات الاستراتيجية) الى أن "أزمة الهوية" هي أكبر وأخطر مجهول في روسيا. فبعض الخبراء الروس يريدون لروسيا أن تكون دولة أوروبية بحتة، بينما يرى آخرون أنها دولة أوروبية - آسيوية تمثل جسرا بين الشرق والغرب. وهناك مجموعة أخرى تعتقد أن على روسيا أن تسعى الى ارساء علاقة خاصة مع العالم الاسلامي، لا سيما وأن هناك ست جمهوريات اسلامية تحدها جنوبا، وهي شريكاتها في رابطة الدول المستقلة. وفي هذا السياق نذكر أن بعض المتهمين بمستقبل الرابطة يتصورون أربعة سيناريوهات للمستقبل:

١- بقاء الرابطة بالشكل الحالي الذي يمتاز بانه هش وضعيف، وأن تتمتع كل جمهورية بكل حقوق الدولة المستقلة، مع استمرار التنسيق في بعض المجالات الاقتصادية والسياسية، وقد تشمل أحيانا الناحية العكسرية.

٢- امكانية تفكك الرابطة الى الجمهوريات المكونة لها، وفي هذه الحالة تبرز مشاكل مثل: الحدود والأرض والثروة..

٣- احتمال عودة الجمهوريات لمستوى أعلى من التنسيق، وذلك لا يمكن تحقيقه الا بعد فترة لا تقل عن خمس سنوات، حيث تقتنع كل جمهورية أن تحقيق مصلحتها لا يكون الا من خلال الاتحاد.

٤- أن تشكل اتحادات اقليمية جديدة، سواء من بعض الجمهوريات أو مع دول مجاورة الرابطة. ولعل أهم العوامل هي: تقارب مستوى الأوضاع الاقتصادية، الحدود المشتركة، تشابه الوضعية الديمغرافية.

ويرجح المحللون السياسيون السيناريو الرابع، ففي حين ان روسيا ستقترب من الاندماج في اللعبة الأوروبية الاشمل والأكثر تقليدية، حيث التنافس على كسب ود الولايات المتحدة أو التحالف ضدها، بينما الجمهوريات الاسلامية ستسعى للانخراط في تحالفات آسيوية - شرقية - اسلامية، وفي هذه الحالة فانها ستتجه حتما الى مراكز الجذب القومي والديني في ايران وتركيا، وربما افغانستان وباكستان. وفي هذا الاطار تندرج اقتراحات الرئيس يلتسن لاقامة نظام مرن للتكامل، واعتماد درجات مختلفة من التعاون. وكذلك التصريح المشترك للرئيس الكازاخستاني ورئيس الوزراء الروسي الجديد حول أن

قضايا دولية

بلديهما يشكلان نواة الرابطة.

ان كل المؤشرات تدل على تعثر الاصلاحات الروسية، اذ أن عدد العاطلين عن العمل ميصل الى ١٠ ملايين مع نهاية عام ١٩٩٢، كما أن روسيا ستحتاج الى مساعدات أجنبية حجمها ٢٢ مليار دولار عام ١٩٩٣ للمساعدة في دعم اقتصادها. والعقبة الخطيرة أمام خطة الاصلاح الاقتصادي تكمن في كيفية التعامل مع القاعدة الصناعية العسكرية الضخمة التي يعمل بها حوالي ربع سكان روسيا، والتحدي الحقيقي هو كيفية توفير الاستثمارات لتحويل هذه العمالة الهائلة الى الانتاج المدني.

ومن جهة أخرى، يزداد التوتر بين شعوب وقوميات الاتحاد الروسي، (تضم جمهورية روسيا الاتحادية ست عشرة جمهورية تتمتع بالحكم الذاتي)، فالقوات الروسية تفصل بين الأوستينيين والأنغوش، اضافة الى تدخلها في جيورجيا وطاجكستان. ويشير المراقبون الى أن متاعب روسيا القومية تشمل أيضا التتار والتشكيريون والياقوت وغيرهم ممن يطالبون بالاستقلال، أو على الأقل بدرجة أكبر من الاستقلالية. ورغم أن القوميات غير الروسية تشكل حوالي ٢٠٪ من سكان روسيا الا أنها تدعي امتلاك نصف أراضي الاتحاد الروسي. غير أن الضربة الكبرى تجيء من ناحية ميبيريا الشاسعة، حيث شرع حكامها المحليون في حملة من أجل حكم ذاتي أوسع واستقلالية أكبر عن موسكو. وذلك يعني أن روسيا تواجه - الآن - مهمة الدفاع عن اتحادها بعد أن انتقلت "عدوى" الانفصال الى كل مناطقها وأقاليمها، واصبحت تواجه خطر التقلص والانكماش.

لقد انعكست الأزمة الاقتصادية المتفاقمة وازدياد التوتر بين شعوب وقوميات الاتحاد الروسي في البرلمان الروسي، حيث تشكلت ثلاثة ائتلافات أساسية:

١- الشيوعيون والقوميون الروس واتحاد الزراعيين ونواب مستقلون، وقد شكل هذا الائتلاف جبهة وطنية للانقاذ استطاعت تحريك الجياع في شوارع موسكو في شهر تشرين أول/ أكتوبر الماضي، حيث كانت شعاراتهم: لا للمعونات والاستجداء من الغرب، لقد أصبحتم ذيولا للغرب وأمريكا. وقد برز دور هذا الائتلاف في الاجتماع الأخير للبرلمان، حين استطاع اقالة حكومة غايدار.

٢- ائتلاف الوسط (كتلة مديري المصانع / الاتحاد المدني). ويدعو الى اعادة النظر في فلسفة الاصلاحات، وقد تركزت مناورات الرئيس يلتسين في الكواليس حول تحييد هذا الائتلاف وارضاء رموزه.

٣- الكتلة الليبرالية المؤيدة - بدون تحفظ - للاصلاحات، وقد بدا وزنها محدودا في البرلمان (١٥٠ صوتا مقابل ٧٣٠ للتكتليين السابقين).

وبالرغم من ذلك، فان الرئيس يلتسين أثبت قدرات لا يستهان بها في ادارة الصراع داخل البرلمان. فقد أدرك أن المعارضة منقسمة الى أكثر من أربعة عشر جناحا، ومن ثم فقد بنى خطته على اثارة الانقسامات بين صفوف المعارضة، اذ أدرك أن الخطر يهدده من جماعة الاتحاد المدني التي يمثلها ٤٠٪ من نواب البرلمان، لهذا كانت أغلب التنازلات التي قدمها موجهة للاتحاد المدني، في مقابل عدم عرقلته لاحتفاظه بسلطة اختيار الفريق المخول بتنفيذ برامجه الاصلاحية.

وعلى الرغم من أن يلتسين قد استطاع أن يحتفظ بسلطاته كما كانت عليه قبل بداية أعمال المؤتمر الا أن نتيجة التصويت في حد ذاتها أكدت أن المعارضة استطاعت حشد تاييد واسع لاجراء تعديلات دستورية لتقليص سلطاته على نحو قد يمكن أن يصادف نجاحا في المستقبل. كما أن المؤتمر أقر صيغة مبهمة لاخضاع الحكومة للمسائلة القانونية أمام الرئيس والبرلمان معا، وكل هذا يعني أن يلتسين سيواجه فترة عصيبة قادمة وأن حيلته هي تسكين المعارضة وكسب الوقت على أمل أن تتسع دائرة المؤيدين لسياسته، وتشكيل جبهة أو حزبا سياسيا لدعم موقفه. الا أن قطع زيارته للصين اثبت أن خطر المعارضة البرلمانية ليس مهلا.

وفيما يتعلق بالتوجهات المستقبلية للعلاقات الدولية فقد ذكرت دراسة تحليلية وضعها خبراء روس مؤخرا أن ما يسمى بـ "النظام الدولي الجديد" ظاهرة عابرة. اذ جاء في الوثيقة "لابد من الاعتراف بأن عالما تتربع على عرشه الولايات المتحدة شيء عفى عليه الزمن. خاصة وأن التعاملات السياسية والاقتصادية تتحول الآن من المستوى العمودي الى المستوى الافقي، فضلا عن ذلك فمن المستبعد أن ترغب دول كثيرة في الانصياع لارادة حكم واحد".

وطرح الخبراء سؤالا جوهريا هو: الى متى ميستطيع الأمريكيون اسناد صرح الأمن الدولي المتداعي، لا سيما وأن واشنطن تضطر للالتفات - أكثر فأكثر - الى مشاكل بيتها. وخلصوا الى استنتاج مفاده أن الولايات المتحدة سوف تترنح بين الانعزالية، بهذا الشكل أو ذاك، والسعي للاحتفاظ بالتزاماتها الدولية. ولكن هذا الرأي لبعض الخبراء الاستراتيجيين الروس ليس سائدا في صفوف صانعي السياسة الخارجية الروسية. اذ يشير المحللون الى أن هذه السياسة تتنازعها كتلتين متصارعتين، تعكسان الاستقطاب الداخلي في المجتمع. أولهما، التي يمكن اصطلاحا تسميتها بـ "الاطلسية" تدعو الى التقارب السريع مع الغرب وخاصة الولايات المتحدة. وثانيهما، التي تعبر عن النزعات البلشفية الجديدة تدعو الى الابتعاد عن الغرب الى أقصى حد، بل انها مستعدة حتى للعودة الى المجابهة، وهذه الكلتة تشكل اقلية وتتوهم باحتمال نجاح انقلاب بلشفي جديد. ويبدو أن الكتلة الأولى التي قادت السياسة الخارجية منذ بضعة سنوات تجد أن الأفق مسدود أمامها، لذا فان العودة الى الفضاء الاورو - آسيوي، الذي تحتل روسيا الجزء الأكبر منه سوف يحكم توجهات السياسة الخارجية الروسية.

قضايا دولية

ويكفي أن نذكر أن روسيا تحتل مرتبة الصدارة بين الدول الأوروبية من حيث طول حدودها مع العالم الاسلامي. ومن الملاحظ أن زيارة يلتسن الى الصين مؤخرا وزيارة رئيس الوزراء الجديد الى كازاخستان قد جاءتا تجسيدا لهذا التوجه.

وفي مياق قراءتنا للسياسة الخارجية الرومية موف نتوقف عند أهم محاورها كما يلي:

١- يبدو واضحا أن الولايات المتحدة الامريكية تامل أن تبقى روميا مشغولة بهمومها الداخلية. وقد جاء في تقرير أصدرته وزراة الدفاع الأمريكية مؤخرا: أن بقاء روسيا ضعيفة عسكريا، وخاضعة لتاثير المساعدات والمعونات الخارجية وخاصة من الدول الغربية، سيؤدي الى تقليص الانفاق العسكري الامريكي خلال السنوات العشر القادمة بنحو ٣٠٠ مليار دولار، وهو يمثل قيمة المبالغ التي كانت تنفقها الولايات المتحدة للبقاء على أهبة الاستعداد لمواجهة الخطر العسكري القادم من الاتحاد السوفياتي السابق.

وبالرغم من المبادرة الاخيرة للرئيس يلتسن حول الأسلحة الاستراتيجية (سالت ٢) والتي أضيفت الى مبادرات حسن النية تجاه الولايات المتحدة، فانه من الخطأ القول بتطابق المصالح بين الطرفين، اذ أن واشنطن لا تحترم الا القوة، فيما تعتبر التنازلات من طرف واحد شيئا مسلما به، ولا تعطي مقابلة سوى امكانية الحفاظ على ماء الوجه.

٢- يبدو أن العلاقات الروسية - الأوروبية أكثر رسوخا، فاغلب المساعدات كان مصدرها ألمانيا، كما أن المعاهدتين اللتين وقعتا في الشهرين الماضيين مع فرنسا وبريطانيا تشيران الى أن فكرة البيت الأوروبي المشترك مازالت توجه السياسة الخارجية الرومية.

٣- تشهد العلاقات الرومية - اليابانية توترا صامتا بسبب النزاع حول جزر الكوريل، فالمعروف أن الغاء زيارة يلتسين الى اليابان في شهر ايلول/ سبتمر الماضي جاء، من جهة، تحت وطأة معارضة قوية في الرأي العام الروسي (٦٠٪ يعارضون اعادة الجزر الى اليابان). ومن جهة ثانية، في ظل رفض اليابان تقديم ثمن حددته روسيا (٥٠ مليار دولار). وما دمنا في الفضاء الآسيوي فمن المفيد الاشارة الى المعاهدة التي وقعها يلتسين في الشهر الماضي مع حكومة كوريا الجنوبية لمدة عشر سنوات بهدف جذب الاستثمارات الكورية. في حين أعلن وزير الخارجية الصيني عدم استبعاد بلاده قيام علاقات تحالف مع روسيا لحفظ السلام والاستقرار في آسيا والمحيط الهادي والعالم. وقد جاءت زيارة يلتسين مؤخرا الى الصين معبرة عن تحول عميق في العلاقات بين البلدين، خاصة وأن الطرفين تعهدا بعدم الاشتراك في أي تحالف عسكري أو سياسي ضد الآخر، واتفقا على تعزيز الثقة عن طريق اجراء مفاوضات لخفض القوات على الحدود المشتركة.

٤- أعلن في الشهر الماضي عن مصادقة يلتسين على خطة متكاملة لسياسة روسيا في الشرق الأوسط تقوم على ثلاثة مبادىء: ضمان مصالح روسيا، ومنع انتشار الحرائق الى المناطق الجنوبية (تشجيع الاتجاهات الاسلامية المتنورة في الفضاء الاسلامي)، والافادة من القدرات الاقتصادية للعالم العربي. ومن المؤسف له أن الدور الروسي في مسار التسوية، منذ مدريد حتى الآن، يبدو مساعدا ومكملا للدور الأمريكي. اذ أن موسكو شددت على منظمة التحرير الفسطينية كي لا تثير موضوع الدولة المستقلة في المفاوضات. وقد لاحظت مصادر دبلوماسية عربية أن ثمة انقساما في القيادة الروسية حيال عملية التسوية، اذ بدأ وزير الخارجية كوزيريف أكثر ميلا لـ"اسرائيل"، بينما مازال نائب الرئيس روتسكوي عند المواقف التقليدية لروسيا.

وليس سرا ان أوساطا روسية واسعة أبدت امتعاضا من الخضوع لتوجيهات الادارة الامريكية في السياسة الخارجية. واذا كان من المبكر الحديث عن تحول رومي في مجال السياسة الخارجية فان ثمة عاملين يدفعان في هذا الاتجاه: أولهما، الثمن الشعبي الباهظ المدفوع لقاء سياسة الاصلاحات الاقتصادية. وثانيهما، الشعور بأن الغرب الذي يطالب بهذه الاصلاحات لا يساعد على انجاحها. وقد يكون الغرب لا يرغب في انطلاق دولة تمتلك كل مقومات الدولة العظمى. وهنا يجدر بنا ألا نخلص الى استنتاجات متسرعة عن "رضوخ روميا"، فاذا لم يكن ممكنا أن تحتفظ بنفوذ وتاثير عالميين على الصعيدين الاقتصادي والسياسي، فانها تدرك أنه لا يزال ممكنا على الصعيد العسكري. اذا أن روسيا لا تزال تمتلك ترمانة نووية ضخمة كفيلة بفرض دور رومي، على الخريطة الاستراتيجية العالمية، ولو كان ذلك ضمن اطار التعاون غير المتكافيء مع الولايات المتحدة الامريكية.

وأخيرا، نقول أن روسيا تبحث عن أسس تقيم عليها دولتها، انها تبحث عن حدودها وشرعيتها وهويتها القومية. ومما لا شك فيه أن الانظار ستبقى متجهة الى الكرملين، فالجميع يعلم أن هذه القلعة قد استطاعت مرات عديدة، على مدار التاريخ، أن تهزم الضعف وتأخذ بزمام الامور في البلاد ■

دروس وموضوعات في حرب الشعب الفلسطينية في الأرض المحتلة (٢)

٥ـ المرحلة الممتدة من عام ١٩٨٥ـ١٩٨٦:

■ لقد شكلت هذه المرحلة مفصلا هاما في مجال العمل العسكري في الداخل، ويعود السبب في ذلك الى تواجد الاخ الشهيد أبو جهاد وعدد من الكوادر في الاردن، سواء أكان هؤلاء الكوادر تابعين لجهاز الارض المحتلة أو غيره، حيث أدى تواجدهم هناك ومن ثم احتكاكهم بالمقاومين من الداخل سواء بصورة موجهة أو منظمة أو حتى بصورة عفوية الى تصاعد في العمليات والفعاليات العسكرية في الارض المحتلة. وذلك بسبب الخبرات والمعلومات والتجارب الهائلة التي كان يتمتع بها هؤلاء، وحيث كان يتم نقلها بتلك الوسائل الى اعضاء التنظيم، أو الأقارب والاصدقاء في الداخل. فجاء عام ١٩٨٥ عاما مميزا في مجال العمل العسكري في الداخل.

ولا ننسى أن نذكر في هذا السياق بان جهاز الارض المحتلة قد بدأ يلملم نفسه، ويعيد تنظيم صفوفه ولو بشكل جديد وتجميع طاقاته في تلك المرحلة، وتحت الرعاية المباشرة للأخ أبو جهاد، ومن فوق نقطة التماس.

مرحلة الانتفاضة:

شكلت الانتفاضة ذروة في مجال ومستوى الفعاليات وعلى مختلف المستويات والأوجه وكان من أبرز مظاهر هذه المرحلة حتى الآن:

ـ بروز ظاهرة المطاردين المسلحين العملاقة.

ـ انتشار ونشوء القوات الضاربة في كل شارع وقرية ومخيم ومدينة، والتي كان يلاحق مناضلوها العدو وجنوده ومستوطنوه بالقتل والضرب والمولوتوف.

ـ انتشار ظواهر الابداع، والمبادرات الفردية كعنصر بارز واساسي، كظواهر حرب السكاكين والأدوات الحادة التي لم تعد تنفذ بشكل فردي، كما لم تعد تقتصر على القدس والضفة وغزة، وانما أصبحت تمارس بالجملة وتنفذ في قلب العدو، وقد كان للاخوات دور بارز في هذا المجال ولأول مرة، حيث أخذن يهاجمن جنود وضباط العدو بالسكاكين والآلات الحادة، هذا بالاضافة الى عمليات حرق السيارات والغابات والمزارع، ومهاجمة المعسكرات، ودعس المستوطنين والجنود بالسيارات ودهورة سياراتهم.. الخ.

ـ استمرار العمليات العسكرية عبر الحدود اللبنانية وغيرها، والتي كان أبرزها وعلى رأسها عملية الشهيد البطل خالد العكر التي كانت احدى الشرارات التي أشعلت الانتفاضة.

ـ استمرار العمليات العسكرية التي تنفذها الخلايا المسلحة السرية في الأراضي المحتلة، والتي كان من أشهرها في الآونة الأخيرة خلية المناضلة عبير الوحيدي.

وقد جاء عام ١٩٩٢ عاما مميزا في المجال العسكري، سواء من حيث نوعية العمليات أو درجة انتشارها.

التوجيه والقيادة:

تشكل القيادة حجر الزاوية في مختلف مجالات العمل، ويزداد دور القيادة اهمية في ظروف العمل السري، بسبب تعرض القيادة باستمرار لمخاطر الاستشهاد والاعتقال، وما ينشأ عن ذلك من صعوبات في ملء الفراغ القيادي.

وتلعب مصداقية القيادة، واقدامها، وحكمتها، وصمودها وصبرها، وحسن تقديرها للموقف، ونجاحها في

قيادة المناضلين والتجديد في أساليب العمل دورا بالغ الأهمية في نجاح العمل، وتجاوز الأزمات ويعاني موضوع القيادة في مجال العمل العسكري في الأرض المحتلة من نقاط ضعف أساسية هي:

١ـ وجود قيادة العمل خارج الأرض المحتلة، وما يترتب على ذلك من حرمانها ميزة التعايش في الميدان، وبين المناضلين، والتفاعل معهم، والتعرف عليهم، ومراقبة تطورهم، ومستوى أدائهم لواجباتهم، والتعرف أيضا على جوانب القوة والضعف في شخصياتهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان ذلك يؤدي الى صعوبة الاتصال واعطاء التوجيهات والتصرف في الوقت المناسب. كما يؤدي أيضا الى زيادة تكاليف العمل التي يطرحها سفر المناضلين وتعطلهم عن أعمالهم، بالاضافة الى تعريضهم للمخاطر الامنية نتيجة لذلك وانعكاس كل هذه المسائل ضعفا في المعرفة، تصل الى حد الجهل في بعض الاحيان الذي يترك آثاره السلبية على مجريات العمل وتقدير الموقف.

٢ـ تشتت قيادة العمل في اكثر من دولة، وضعف الأمان المحيط بهذه "القيادة" في بعض الاحيان، وتعرضها للاعتقال في أحيان أخرى، بشكل يحرم العمل من فرصة التكامل والتفاعل بين هذه الأطر، ويؤثر بالتالي على الخطة والقرار. ويحرم العمل من وجود الخطة الشاملة، المستندة الى كل الأفكار والخبرات المتناثرة في أكثر من موقع فيصبح العمل في بعض الاحيان يقاد بواسطة وكلاء، لا يملكون الخبرة والتجربة والمؤهل القيادي الكافي. وليس من قبل قيادات خبيرة ومجربة ومؤهلة. هذا في الخارج، اما في الداخل فان المشكلة تتمثل في عدم وجود قيادات محلية داخل الارض المحتلة، لأسباب ذكرناها سابقا.

وباختصار يمكن القول بأن القيادات المسؤولة عن العمل العسكري في الداخل في المستويات المختلفة، تمارس عملها في ظروف شديدة القسوة والتعقيد، بشكل لا يسمح بقيام مركز عمليات ثابت ومستقر، وقريب من ساحة الفعل، يكون بمقدوره الاتصال والتصرف السريع ونقل الانذارات، وارسال التوجيهات، وارسال الأشخاص والسلاح، ورسم الخطط. ولتعويض ذلك فان هذا الأمر يستدعي من المسؤولين مضاعفة الجهود، والعمل ليلا نهارا وابتكار اساليب العمل المتطورة والفاعلة التي تختصر الوقت، وتكثف الجهد وتتجاوز المصاعب.

التنظيم

مر العمل التنظيمي باكثر من مرحلة عبر السنوات الماضية، الأولى رافقت العمل في بداياته الا انها لم تعمر طويلا، بسبب ما كانت تعانيه من ثغرات ونقاط ضعف، عكست مستوى الوعي والتجربة في ذلك الحين. وقد كان يكفي في حينه أن يتم اختراق خلية، أو اعتقال احد الأعضاء واعترافه لكي يؤدي ذلك الى كشف تنظيم بكامله، حيث لم يكن يحكم الخلايا والأشخاص في ذلك الحين ما يلزم من الضوابط، التي تقلل من حجم الخسارة. فكان التنظيم أو المجموعة تضم عددا كبيرا من المناضلين، كما أن هناك اكثر من خلية ترتبط بعلاقات ما مع بعضها.

ومع بداية السبعينات، أو بعد ذلك بقليل انتهى العمل بهذا الأسلوب، واستبدل بأسلوب آخر تحكمه مجموعة من الضوابط والقواعد التي تضمن المحافظة عليه وصونه من النواحي الأمنية خاصة. وقد استند ذلك الى تجارب السنوات الماضية وما تمخضت عنه من تجارب. فاصبح مثلا قانون (المعرفة على قدر الحاجة)، وقانون (الأمن والعمل شرطان متناقضان ولكنهما متعايشان في العمل السري)، تأخذ مسارها وحيزها في العقلية والبناء والمفهوم التنظيمي.

كما أصبح هناك قواعد تتحكم في عدد اعضاء الخلية، ووسائل اتصالهم ببعض ومع الخارج. كما لعبت عملية تثقيف وتوعية المناضلين الأمنية والسياسية والتنظيمية والمتعلقة بمواجهة أساليب العدو وخططه دورا هاما في المحافظة على التنظيم ونجاح العمل.

وقد عكس هذا الأمر نفسه على مجمل جوانب العمل التنظيمي سواء فيما يتعلق باختيار اعضاء وتشغيلهم، أو فيما يتعلق بالسلاح وتخزينه واستخدامه وتداوله، أو فيما يتعلق بالمهام وأسلوب تنفيذها الى غير ذلك من الكثير من التفاصيل الهامة.

وقد اعتمد هذا الأسلوب على أن يتشكل الوضع التنظيمي في الداخل من جملة من الخلايا المنفصلة عن بعضها البعض بصورة كاملة، وترتبط كل مجموعة من

من تجربتنا العسكرية من تجربتنا العسكرية

هذه المجموعات أو جميعها بكادر أو لجنة في الخارج ولكن بصورة مباشرة. وتكون هذه اللجنة بمثابة المرجع أو القيادة المسؤولة عن تشغيل هذه الخلايا، والتنسيق فيما بينها، وتلبية كافة احتياجاتها. والاشراف على مختلف فعالياتها ونشاطاتها، بالشكل الذي لا يسمح بالاتصال المباشر بين هذه الخلايا ولكنه يسمح بحالة التكامل.

اما الخلية التنظيمية فانها تتشكل من مجموعة من الأعضاء لا يزيد عددهم عن خمسة أعضاء ينسق اعمالهم قائد الخلية، دون أن يضطر الى كشفهم على بعض في أغلب الأحيان، الا عندما تتطلب ظروف العمل ذلك.

وبرغم نجاح هذا الأسلوب الا انه استمر يعاني من ثغرات هامة، فمن جهة اولى، فان عدم وجود اتصال بين الخلايا في الداخل في ظل وجود القيادة في الخارج، لا يساعد في احداث عملية التنسيق والتكامل في الوقت المناسب، كما يتسبب في عدم القدرة على الاستفادة من الفرص المتاحة، التي تستدعي وجود أكثر من خلية أو أكثر من قطعة سلاح لمهمة معينة.

كما أن هذا الاسلوب يؤدي الى التقوقع، والتراجع في بعض الاحيان، كما أنه لا يسمح ولا يساعد على تطوير واغناء تجارب المناضلين والخلايا، كما يحرمهم من الاستفادة من روحية العمل الجماعي وانعكاساته المعنوية على الافراد ومدى الفاعلية، تلك الروحية التي تشحذ الهمم وتشد العزائم، وذلك الجو الذي تفرضه هيبة الجماعة والعمل من خلالها (نفس الرجال يحيي رجال).

هذا بالاضافة الى أن هذا الأسلوب لا يساعد القيادة على تنسيق عملية عسكرية واسعة، مما يضطرها عندئذ الى تجاوزه، حينما لا يساعد جهد وامكانات خلية واحدة على الوفاء بالمهمة المطلوبة. وعلى الرغم من كل هذه العيوب فان هذا الاسلوب يبقى الاقل خطرا أو ضررا من الناحية الامنية.

وفي محاولة لتجاوز نقاط الضعف السابقة فقد جرى التفكير والعمل على انزال كوادر قيادية للداخل، ذات خبرة وكفاءة قتالية وتنظيمية عالية، كي تشكل أنوية قيادة، تمتلك الامكانات والمعلومات، ويكون بتصرفها أكثر من خلية كما حصل مع مجموعة الدبوية، والشهيد خالد الديك، والشهداء ماهر البورنو، ورفيق السالمي.

ومع اندلاع الانتفاضة فقد دخل على خط العمل اشكال جديدة تتناسب والظروف المستجدة. ولكن الاتصال الفردي مع الخارج بقي هو السائد في كثير من الاحيان بالنسبة الى العمل العسكري كما أن المطاردين واسلوب عملهم شكلوا نظام عمل بكامله.

الاتصال

يعتبر الاتصال عاملا حيويا بل اساسيا في مجال العمل السري، وهو بمثابة عصب هذا العمل فمن خلال الاتصال تناقش الافكار ويحصل التفاعل، وتعطى الاوامر، ويتم الاتفاق على العمليات والمهام وتجري عمليات التنسيق بين الخلايا والأفراد. كما يجري الاتفاق على عمليات التسليم والاستلام.. الخ. بالاضافة الى فضل الاتصال في التعرف على العقلية والافكار والامكانات والتوجيهات والآفاق.

وتجري عمليات الاتصال باساليب وطرق مختلفة، تراعي بالدرجة الاولى سرية هذه العمليات، التي هي سرية التنظيم في النهاية. وفي مجال العمل في الارض المحتلة وبرغم وسائل الاتصال المتنوعة الا ان مسالة الاتصال تعاني باستمرار من معضلتين اساسيتين.

١ـ وجود قيادة العمل خارج الأرض المحتلة، مما يصعب اجراء عمليات الاتصال، كما يعرض الرسل والرسائل للخطر باستمرار. خاصة وأن عمليات الاتصال هذه تجري عبر ممرات اجبارية يسيطر عليها العدو، كالجسور ونقاط العبور، (والتلفون والفاكس في مرحلة الانتفاضة) كما أن هذه الوسائل ما عدا الفاكس والتلفون (الذي لا يشكل أسلوب عمل كامل في هذا المجال لعلنيته بالنسبة للعدو). لا تسمح بتحقيق الاتصال في الوقت المناسب، بسبب الاجراءات الامنية التي يتخذها العدو سواء على الجسور أو في المناطق المختلفة، والتي تقضي في كثير من الأحيان بمنع أهالي بعض المناطق من السفر لفترات معينة، كما تؤدي الى اعادة البعض من على الجسور.

لهذا فان العدو يشكو باستمرار من صعوبة كشفه لما يطلق عليه اسم التنظيمات المحلية بسبب عدم لجوء هذه المجموعات الى مراسلة الخارج، مما يجنبها الوقوع في مخاطر الاتصال.

من تجربتنا العسكرية من تجربتنا العسكرية

٢ـ الطبيعة السرية للتنظيم المعتمدة على الاستقلال الكامل للخلايا، تعكس نفسها سلبيا على الاتصال فهي من جهة لا تسمح بالاستفادة من الرسول لأكثر من خلية واكثر من مهمة، كما أن ظروف العمل قد تضطر المسؤولين الى ارسال اكثر من رسول في نفس الفترة مما يضاعف الخطر. كما أن ذلك لا يسمح أيضا بنقل الانذارات السريعة لمجموعة خلايا في نفس الوقت. وذلك في حال وجود خطر أمني وقد عوضت النداءات عبر الاذاعة عن جانب مهم بالنسبة لهذا الموضوع. ولكن اغلاقها في السنوات الاخيرة، زاد الأمور تعقيدا وصعوبة.

التسليح والتدريب

يشكل السلاح والتدريب عليه الشرط الثاني المهم بعد توفر المناضل، والمقصود بالسلاح كافة الوسائل القتالية الممكنة سواء كانت سلاحا تقليديا، أو مصنعا بالوسائل الشعبية.

وبسبب أهمية السلاح فقد فرض العدو اجراءاته الامنية على الحدود، ومناطق تهريب السلاح لمنع وصوله للداخل، بالاضافة الى مراقبة تجارة السلاح في الداخل لضمان عدم تسرب هذا السلاح الى أيدي المناضلين، كما قام بارسال عملائه الى الخارج للالتحاق بالثورة طمعا في كشف السلاح ومخازنه ومصادرته وأساليب الحصول عليه، هذا على مستوى السلاح التقليدي، أما على مستوى السلاح الذي يتم تصنيعه بالوسائل الشعبية البدائية فقد قام العدو بفرض القيود والاجراءات الأمنية على بيع وتداول المواد التي تدخل في عمليات التصنيع. كما قام بالتلاعب بنسب تركيبها حتى لا تعود صالحة للتصنيع كما هو الحال بالنسبة للأسمدة الكيمياوية مثلا.

وقد واجهت الثورة كافة هذه الأساليب وغيرها، ونجحت في اختراق كافة الحواجز، واستثمرت كافة الامكانات والوسائل لايصال السلاح الى الداخل وقد حققت نجاحات مذهلة في هذا المجال، من خلال اختراقها الكثير من اجراءات وخطط العدو الأمنية. خاصة فيما يتعلق بتهريب السلاح وادخاله ونقله باشكال مختلفة، أذهلت المراقبين وقيادات العدو الأمنية والعسكرية. ولم تكن عملية اعتقال المطران كبوشي، واليهودي يوسف نيدام، والعقيد النيجيري من قوات الأمم المتحدة، وغير هؤلاء الكثير الا دلائل قوية على نجاحات الثورة. ولم يكن ذلك ليحصل لولا الجهد الدؤوب، والمتابعة الحثيثة والخبرة الهائلة وعناصر الابداع والحيوية التي كان يتصف بها القائمين على هذا النوع من العمل.

أما بالنسبة الى التصنيع الشعبي فان الثورة لم تستطع حتى الآن أن تراكم تجربة هامة في هذا المجال، رغم بعض النجاحات التي تم تحقيقها. على الرغم من أهمية هذا الموضوع في تحقيق وتعزيز مسألة الاعتماد على الذات.

وقد ادى ميل المناضلين باستمرار نحو استخدام السلاح التقليدي لأسباب معنوية أولها علاقة الثقة بهذا السلاح الى جانب ابقاء التصنيع في موقع الهامشي. ولابد هنا أن نذكر بأن عدم ايلاء هذا الموضوع الجهد الكافي من المسؤولين قد أدى الى استشهاد وجرح عدد لا بأس به من المناضلين والكوادر بسبب الانفجارات التي كانت تحصل أثناء عمليات التجهيز.

كما أن عمليات الاستيلاء على سلاح العدو بالقوة، أو من خلال سرقته من المعسكرات أو شرائه، شكلت وسائل هامة في الحصول على السلاح خاصة في مرحلة الانتفاضة. وقد شكل شراء الأسلحة من جنود العدو أو مبادلتها بالحشيش وسيلة هامة للحصول على السلاح وهكذا الأمر بالنسبة الى التعامل مع العالم السفلي الاسرائيلي. وقد أضحى هذا الامر يشكل عنصر قلق ينظر اليه بدرجة عالية من الخطورة من قبل قيادات العدو وأجهزة أمنه.

هذا بالنسبة الى السلاح، أما بالنسبة الى التدريب فان وجود الثورة في لبنان عام ١٩٨٢ قد منحها فرصة ذهبية ليس فقط لتدريب المناضلين، وانما لمشاركتهم في العمليات وتعايشهم في القواعد وفي أجواء النضال مع المقاتلين.

أما اليوم وبعد الخروج من لبنان فقد تضاءلت كثيرا فرص التدريب وتحقيق الكفاءة المطلوبة، ويبقى أن نذكر بأن هناك شكوى مستمرة من قبل المناضلين حول مستوى الكفاءة في التدريب، واعطاء الوقت اللازم والكافي لذلك والذي كان محكوما بضرورات أمنية ■

تتمة رأينا

على الاطلاق، كان وجه بوش وادارته، ناهيك عن وجه رابين. فقد تذرع بوش بكونه كالبطة الكسيحة في المرحلة الانتقالية، في الوقت الذي يتخذ فيه قرارات بارسال قوات لاحتلال الصومال تحت ستار الانسانية. ويستعد للتوقيع على أخطر اتفاقية نووية مع روسيا.

ان الازدواجية الامريكية التي تشكل سيفا مصلتا على رقاب دعاة السلام والحرية، هي التي تعمل جاهدة لتكريس الكيان الصهيوني، دوليا، وكأنه دولة فوق القانون الدولي. وان هذا الموقف لا يطال الشعب الفلسطيني وقضيته فحسب، وانما يطال الدول العربية جميعها، وفي مقدمتها الدول المنخرطة في مسيرة التسوية. فالسلام الذي يحاول رابين فرضه على العالم العربي هو السلام الصهيوني، سلام الاذعان والخضوع، سلام الركوع والتسليم بالهيمنة المطلقة للعصر الصهيوني، على أمتنا العربية والاسلامية.

لقد دخلت حركتنا وثورتنا وشعبنا وأمتنا، عام الحرب الشاملة والمعركة الفاصلة مع العدو الصهيوني. ويجب توظيف كل وسائل حربنا الشاملة، لتصب في تدعيم المواجهة وتصليبها في معركة الوجود، التي يتحتم علينا الخروج منها منتصرين على سياسة القبضة الحديدة وتكسير العظام والترانسفير، ومكرسين أن هذا الوطن العربي، وهذه الارض العربية والاسلامية، لا هيمنة عليها ولا سيطرة لغير أمتنا العربية والاسلامية.

ان المعركة الفاصلة التي نخوضها ضد سياسة رابين ومحاولاته اغتيال عملية السلامالذي تطمح الامم المتحدة لتحقيقه، تفرض علينا وقفة جادة لمواجهة كل الاحتمالات. وهذا ما يتطلب منا، وضع أسسهذه المواجهة في المجالات والاصعدة المختلفة.

أولا - على الصعيد الحركي الفتحوي:

١- حشد كل الطاقات بما يخدم المعركة الراهنة في كل المجالات، والعمل على تصعيد النضال بكل أشكاله، ضد العدو الصهيوني، وفي مقدمته الكفاح المسلح.

٢- تصليب البنية المؤسساتية والتنظيمية الراهنة، لتكون النواة الصلبة، التي بها وعبرها، ستتم ادارة المعركة ميدانيا، في كافة المجالات، وعلى جميع الأصعدة.

٣- تعزيز التصميم والاصرار على خوض المعركة الراهنة، باعلى درجات الفعالية، باعتبارها معركة فاصلة، يجب الخروج منها بتكسير اسلحة رابين وتحطيمها، وافشال مؤامراته، مسلحين بالروح الفتحوية المفعمة بالايمان المطلق بحتمية النصر، وبالاستعداد الدائم للتضحية والفداء.

ثانيا - على الصعيد الفلسطيني:

١- التمسك بالقرار الذي يجعل الأولوية لمعركة عودة المبعدين، باعتبارها معركة فاصلة، يتوقف عليها استمرار وجود شعبنا على أرضه الفلسطينية. ورفض كل محاولة للالتفاف على قرار الصمود البطولي للاخوة المبعدين، بالبقاء حيث هم وحتى العودة المباشرة الى بيوتهم ووطنهم الوحيد فلسطين.

٢- رفض البحث في اي صيغة تتعلق باستئناف المشاركة الفلسطينية في مسيرة التسوية، قبل عودة المبعدين، وضمان صيانة حقوقهم المدنية، داخل الارض المحتلة، استنادا الى اتفاقية جنيف الرابعة.

٣- تكريس جهود كل الفصائل والقوى الفلسطينية لصالح المعركة الفاصلة وما يتطلب ذلك من تعزيز وتجسيد للوحدة الوطنية الشاملة، التي تشكل الدرع الواقي لحماية تحركنا المشترك، والسيف البتار الذي يعزز ضرباتنا الفعالة، ضد الكيان الصهيوني وجيشه المحتل ومؤامراته التصفوية.

٤- تامين كل وسائل الصمود للابطال المبعدين، بما لا يخدم مخطط الارهابي رابين، في خلق بديل عن عودتهم الى فلسطين. وتعزيز الثقة العالية التي عبر عنها الابطال، بايمانهم المطلق بعودتهم وانتصارهم على القرار التعسفي القاضي بابعادهم.

٥- تصعيد كل اشكال النضال والكفاح المسلح والانتفاضة داخل الارض المحتلة، حتى تتعزز ابعاد المعركة الفاصلة، بالحرب الشاملة ضد العدو الصهيوني، والتي سيتقرر نتيجة لها مصير المستقبل الفلسطيني.

ثالثا - على الصعيد العربي:

١- التحية والتأييد للموقف اللبناني من قضية الابعاد وتاكيد التمسك العربي في تنفيذ القرار الاممي ٧٩٩. وتعزيز موقف الدول المشاركة في الاجتماع التنسيقي في القاهرة بتاريخ ١٩٩٢/١٢/٢٤، بما يؤكد على رفض المشاركة واستئناف المفاوضات قبل ان تتحقق عودة جميع الاخوة المبعدين المأمونة والفورية الى الاراضي الفلسطينية المحتلة.

٢- استنهاض التحركات الجماهيرية الشعبية العربية، وتصعيد مواقفها المؤيدة لعودة المبعدين، واشراك طاقات الامة العربية جميعها في المعركة المصيرية الراهنة.

٣- العمل على دعم الموقف الفلسطيني واللبناني من قضية الابعاد، في الاجتماع الوزاري لدول العربية، الذي تقرر عقده في ١٩٩٣/١/١٢. وتعزيز عودة التضامن العربي، حول القضية الحساسة المتعلقة بمستقبل وجود الشعب الفلسطيني على ارض فلسطين، ومستقبل عروبة القدس، ومصير الامة العربية والاسلامية جميعها، في مواجهة مشروع الهيمنة الصهيونية على الوطن العربي.

٤- العمل على تحفيز الجامعة العربية لعقد قمة عربية بأسرع ما يمكن، لتجاوز الصدع الذي اصاب الامة العربية، اثر حرب الخليج ووضع الملوك والرؤساء العرب، امام مسؤولياتهم التاريخية، في مواجهة الغطرسة الصهيونية، ضد انظمتهم ودولهم وشعوب الامة العربية والاسلامية.

رابعا - على الصعيد العالمي:

١- التاكيد على ضرورة تنفيذ قرار مجلس الامن ٧٩٩، ووضع الدول في مجلس الامن، وخاصة الدول الدائمة العضوية، امام مسؤولياتها، في التنفيذ الفوري للقرار، بالطرق المناسبة.

٢- وضع الولايات المتحدة امام مسؤولياتها، بما تصف به نفسها، بانها الحامية للشرعية الدولية ولقراراتها. ورفض سياسة ازدواجية المعايير، التي تمارسها الولايات المتحدة ضد قضايا شعبنا وامتنا، وبما يخدم الكيان الصهيوني.

٣- الطلب من مجلس الامن الدولي تامين الحماية الدولية لشعبنا داخل الارض المحتلة، في مواجهة سياسة الابعاد والاقتلاع الجماعي والاعتقالات المكثفة، والقبضة الحديدية وتكسير العظام وسياسة ارهاب الدولة الصهيونية.

٤- استنهاض حركة الشعوب المحبة للسلام والرافضة لسياسة الارهاب الصهيوني، والتي تعبر عن نفسها باشكال مختلفة في دول العالم. وتوظيف هذه المواقف التضامنية، للضغط على الحكومات والامم المتحدة، لاتخاذ القرارات والمواقف المساندة لصمود الشعب الفلسطيني ونضاله، ودعم موقف حركتنا ومنظمتنا في تحقيق العودة الفورية للمبعدين الابطال.

٥- تعزيز المواقف الصادرة عن التجمعات والهيئات الدولية، التي عبرت عن رفضها لسياسة الابعاد، والدعوة الى المزيد من هذه المواقف، من دول عدم الانحياز والدول الاسلامية والافريقية، وتوظيف هذه المواقف للضغط على امريكا، لاتخاذ الموقف الذي ينسجم مع قرارات الشرعية الدولية بما فيها قرارات مجلس الامن.

ان قدرة حركتنا على التحرك في المجالات والاصعدة المختلفة، وتوظيف كل الطاقات، بما يخدم المعركة الفاصلة، يتوقف اول ما يتوقف على قدرة حركتنا في لعب دورها التاريخي، الذي لعبته في كل معارك المنعطفات الحاسمة عبر مسيرة ثورتنا. فمنذ الانطلاقة في ١٩٦٥/١/١، كانت حركتنا طليعية رائدة، وبعد الانهيار العربي في حزيران ١٩٦٧، كانت الانطلاقة الثانية لحركتنا في ١٩٦٧/٨/٢٨ انبعاثا ثوريا، كالعنقاء من تحت ركام الهزيمة ورمادها. وفي الكرامة كانت معركة الانعطاف التاريخي، وعلى سفوح جبل الشيخ وجنوب لبنان كانت معارك الصمود وبطولات اطفال الار بي جي. وفي بيروت وحصارها الاطول في تاريخ المواجهة مع العدو الصهيوني، كانت الملحمة الخالدة.

هذا هو قدر حركتنا العملاقة، التصدي والمواجهة والصمود واجتراح المعجزات وخوض المعارك الدفاعية، واقتحام الصعاب في الهجوم الفعال، الذي سطر ولا يزال، على ثرى ارض فلسطين المقدسة، ملاحم المواجهة بين ابطال العاصفة، صقور الفتح، والفهد الاسود، وابطال الانتفاضة، فرسان الكفاح المسلح، احفاد القوم الجبارين، الذين كتب الله عليهم الجهاد الى يوم الدين. فهم ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس، على ارض فلسطين، يكتبون التاريخ بشلال الدم الذي لاينقطع حتى النصر.

ان ايماننا بالنصر في المعركة الراهنة الفاصلة على رابين وغطرسته وسياسة قبضته الحديدية، راسخ. وان ثقتنا بصمود الابطال المبعدين وباستعدادهم للتحمل والصبر، هو الذي سيجعلهم عنوان النصر في المعركة الفاصلة، معركة الالتحام بالارض، معركة الوجود. ان ابطال العاصفة وصقور الفتح وفرسان الكفاح المسلح واطفال الحجارة، سيخوضون المعركة بايمانهم المطلق بحتمية النصر، وباستعدادهم الدائم للتضحية، وعزيمتهم الواثقة بان ما ستتمخض عنه هذه المعركة، سيؤثر بشكل واضح على مسيرة النضال الفلسطيني وعلى طبيعة الحرب الشاملة، التي ستستمر حتى تتحقق اهداف شعبنا وامتنا في فرض الحقيقة الفلسطينية والسلام الفلسطيني على ارض فلسطين.

ان هذه المعركة ستؤكد الموقف التي طرحته حركتنا، قبل ان يقدم رابين على جريمة الابعاد. ذلك الموقف الذي يتمسك بالثوابت النضالية الوطنية، التي حددتها حركتنا وقرارات المجلس الوطني الفلسطيني والمجلس المركزي الفلسطيني. ان هذا الموقف يقتضي رفض الاستمرار في حوار الطرشان، بعد ان اصبح واضحا للعالم اجمع، ان مسيرة التسوية لايمكن لها ان تسير وتقلع دون مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية، صاحبة القرار الفلسطيني، والممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، بشكل واضح ودون غموض او لف ودوران. لقد انتهى عهد الشروط المجحفة. وتجاوزت منظمة التحرير الفلسطينية مرحلة الممرات الاجبارية. فلقد استطاع وفد منظمة التحرير الفلسطينية، وفد الشعب الفلسطيني، ان يعبر هذه الممرات، ويخرج منها مسلحا بنفس الثوابت التي دخل بها، وتمسك بها، وحافظ عليها. ثوابت الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، بما فيها حقه في العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

ان حركتنا الرائدة، وهي تخوض المعركة الفاصلة الراهنة، انما تعزز مواقعها النضالية وثوابتها الوطنية، لتخوض معارك المستقبل في كل المجالات العسكرية والسياسية والدبلوماسية والتفاوضية. وهي اقرب الى تحقيق النصر من اي وقت مضى.

"وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾"

سورة آل عمران

صدق الله العظيم

وانها لثورة حتى النصر.



الصفحة الأخيرة

فتح والانطلاقة

"المحبة لا تأخذ الا من ذاتها..
المحبة لا تعطي الا ذاتها"
"جبران"

كان المخيم يحارب غربته، بسلاح العلم، يجرده ضد الجوع والبرد، وليكون سيفه في شحذ الذاكرة المفتوح على دفاتر الوطن المسروق.. وكم حفظ المخيم الفلسطيني أن ترسه وسيفه الانسان.. في رحلته الشاقة ليرجع الوطن وطنا، ولاسترداد الوشم والاسم ولون العينين.. وفتح قاربت المخيم في ذلك الزمن، فصارت ذاكرته، واصبح ذاكرتها.. وابتدأ المشوار الطويل.. يعلن من عيلبون والنفق المحاذي لكتف المدينة، وجود ملامح لزمن آخر تبشر به فتح، ويحفظ سره المخيم..

وذلك سر فتح الاول، التوحد نبضا ونبضات الشعب.. والتوحد عملا وتصوره لكيفية المسير الى الوطن. فكان الانتماء يطالبك بأن تقطع قرشا من قروشك القليلة لتكون مورد الفعل الذي على فتح أن تنفذه.. وكان القرش ذاك، سر الوصل والتواصل، وسر البساطة التي جعلت لون فتح مثل لون الناس، لها ملامحهم البسيطة، فاسكنوها سويداء القلب والنبض.

(٢)

"الكل للواحد، الواحد للكل"

كان خبز القاعدة للجميع، للفدائيين والجماهير المحيطة. والفدائي الانسان، هو من يحمل على ظهره لمسافات طويلة من يجرح في العملية، والفدائي يحمل أخيه على الظهر، في الوقت الذي على الخطوة أن تحاذر عيون الكمائن المنتشرة قبل النهر وبعد النهر.. كانت فتح زمن الفدائيين.. زمن الكل للواحد والواحد للكل.. القروش قليلة ولكن النفوس شامخة، والقيمة في الفعل والعطاء، فبنت لها في القلوب عمائر محبة، وصنعت بفدائييها والناس ذلك العصر والزمن الفتحوي الرائع.

(٣)

"للوطن.. العمر والروح"

كانت الولادة سياسيا منذ منتصف الخمسينات، وتشكل دم ولحم الهيكل مع بدايات الستينات.. وفي ليلة الاول من كانون أول سنة ١٩٦٥، دشنت قوات العاصفة ضرباتها الاولى لتعلن ولادة نمط جديد للرد على الغزوة الحضارية الصهيونية، والولادة والضربات الأولى لقوات العاصفة وقعت جميعا في وقت سابق على احتلال باقي الأرض الفلسطينية في الضفة والقطاع، اللذين سقطا في قبضة الاحتلال اثر نكسة حزيران سنة ١٩٦٧...

كل المدى، كل أرض الوطن.. من الماء الى الماء..

وكان سر الدرس العسكري للفدائيين الاوائل يتجسد القوة في المشي والمسير من الماء الى الماء.

(٤)

كانت رؤيا، وكانوا رجالا يبذلون الروح للانسجام مع تلك الرؤيا التي تقودهم الى فلسطين الوطن..

وللمشوار بقيته الطويلة، ونضاله الدؤوب.. والفتحويون أكثر من أي وقت مضى، مطالبون استلهام تلك الروح العظيمة لمرحلة البدايات.. فالطريق لازال طويلا حتى النصر الكبير..

٥

ويبقى تالق الروح، في يد الفتحوين، وفي اليد الممدودة خطى الى الوطن، ترسمه بيتا بيتا وتحرسه ظلا ظلا...

يبقى تالق الروح في الانتماء لتلك الجذوة التي صنعت هذا الوجود الأمر...

ففتح الكبيرة تكبر وتنهض وتجيء في الفعل الساطع على طريق فلسطين المحررة.

- الاتصالات والمراسلات -

البريد الخاص - 1080 ص. ب. 18 تونس - الجمهورية التونسية - فاكسميل : 767599